لعبة الحب والموت

رومان رولان

رومان رولان

ولد عام ١٨٦٦ ، طفولة تعسة فى أسرة فقيرة وحى متواضع ، فى أحضان أم مغلوبة على أمرها ، لم تستطع أن تقدم للطفل إلا المثل الأعلى فى الخلق القويم ونظرة التشاؤم للحياة والناس .

- أستاذ فى تاريخ الفن فى السوربون .

بدأ بالمسرح ، فحاول أن يكتب سلسلة من المسرحيات عن الثورة الفرنسية ، كتب منها أربع مسرحيات هى : الذئاب ١٩٩٨ ، دانتون ١٩٠١ ، انتصار العقل ١٨٩٩ ثم ١٤ يوليو ١٩٠٢ .

لم يستطيع أن يفرض نفسه على الحركة المسرحية ، فتحول إلى العمل الضخم الذى حقق له الشهرة العالمية وهو رواية جان كريستوف من عشرة مجلدات . هذا العمل الذى يذكرنا بحياة بتهوفن وحياة الكاتب نفسه وحلمه بأن يرى أوروبا موحدة ، حصل بفضله الكاتب على الجائزة الكبرى لمجمع اللغة الفرنسية عام ١٩١٣ .

لم يصرف ذلك عن مواصلة مشروع قديم بكتابة سلسلة من تراجم العظماء : حياة بتهوفن، حياة ميكل أنجلو ، حياة تولوستوى .

ثم عاد رومان رولان إلى المسرح وكتب رائعته الأثيرة إلى نفسه لعبة الحب والموت عام ١٩٢٥ ، وأعياد الفصح المزهرة عام ١٩٢٦ ، ثم ليونيد أو الأسديات عام ١٩٢٨ وأخيرا مسرحية روبسبيير عام ١٩٣٩ .

جميع أعمال رومان رولان تنم عن سعيه الدءوب وراء الصدق والصراحة المطلقة نحو نفسه ونحو الآخرين ، والرغبة الشديدة في الاستمساك باستقلالية الفكر وعدم الانحياز ، مما أثار حوله الريبة التي وصلت إلى حد توجيه اللوم .

تحت العناوين المختلفة التي تصدرت أعمال رومان رولان الروائية أو المسرحية ، نجد الدعوة إلى الوفاق بين الشعوب والسلام بين الأمم . وقد ظل طول حياته في بحث دءوب عن بطل يجمع بين فلسفة نيتشه وأفكار تولوستوي ، بطل يسعى دون عنف أو قسوة إلى أن يفهم كل شيء ، لكي يحب كل شيء .

في لعبة الحب والموت نشاهد فنون الحب المختلفة (الحب العاطفي ، حب الوطن ، حب الأصدقاء ، حب الأزواج ... إلخ) تتعرض لامتحانات عسيرة أمام أحداث الثورة الفرنسية وتوابعها التي شابت لها رءوس الشبان قبل الشيوخ ، قبل أن يأتي الموت الذي لا يفرق بين أولئك وهؤلاء .

في عام ١٩١٦ حصل رومان رولان على جائزة نوبل .

الشخوص

چيروم دى كورفوازييه	عضو لجنة الميثاق	٦٠ سنة
صوفى دى كورفوازييه	زوجتـه	٣٥ سنة
كلود فالليـه	نائب چيروندينى منفى	٣٠ سنة
لازار كارنو	من لجنة السلام العام	٤١ سنة
دينى بابيو		٦٥ سنة
أوراس بوشيه		٢٥ سنة
لودوييسكا سيريزييه		٢٥ سنة
كلوريس سوسى		١٧ سنة
كرابار	مندوب لجنة الأمن	
تيموليون / دوسان / بودان	مفتشـون	

تقع أحداث المسرحية فى باريس ، فى منزل كورفوازييه حوالى نهاية مارس ١٧٩٤ .

عرضت هذه المسرحية لأول مرة فى باريس على مسرح الأوديون القومى فى ٢٩ يناير ١٩٢٨ وأدرجت بعد ذلك فى برنامج فرقة " الكوميدى فرانسيز " فى ٥ يوليو ١٩٣٩ ، وذلك فى ذكرى مرور مائة وخمسين عاما على قيام الثورة الفرنسية .

حجرة استقبال من طراز لويس السادس عشر ، ذات فتحات زجاجية واسعة ، فى الدور الأرضى الذى يرتفع بمقدار ثلاث درجات عن الحديقة .

فى وسط الحاجز القائم فى أقصى المسرح ، باب زجاجى مفتوح على سعته يوصل إلى الحديقة بواسطة الدرجات الثلاث . الحديقة الصغيرة تتلألأ فى ضوء الشمس . فى محور الباب المفتوح بالضبط ، نرى زنبقة مزدهرة ، زرقاء موردة ، وفى أقصى الحديقة ، يوجد الحائط الذى يفصلها عن الشارع . هذا الحائط ليس عاليا : لو تسلّقه طفل عند الركن الأيمن لاستطاع - من فوق القمة - أن يرى الشارع . فوق الحائط ، تتورد سماء المساء ، وتشحب فى بطء .

داخل حجرة الاستقبال

١- إلى اليسار : بابان ، أحدهما بالقرب من الدرابزين ، والآخر بالقرب من الحديقة . عندما يفتح الباب الآخر ، نلمح ركنا من الحجرة ، وهى حجرة نوم . بين البابين ، وسط الحائط الأيسر ، مدفأة عالية من المرمر ، فوقها تمثال نصفى لفولتير . فى الخلف ، مرآة كبيرة . إلى اليسار المدفأة ، مكتب طراز لويس السادس عشر . إلى يسار المكتب ،

بين المكتب والباب الداخلى القريب من الدرابزين ، أعدت جزيرة صغيرة من المقاعد المنخفضة من أجل التحدث على حدة . بروز المدفأة ، والمكتب وبارافان من الطراز الصينى تحجبها عن الأنظار المتجهة من الحديقة .

٢- إلى اليمين : باب يواجه باب الحاجز الأيسر ، القريب من الحديقة . عندما يكون مفتوحا نلمح بير سلم دائرى ، وركنا من صحن السلم ، والدرجات الأولى التى تنزل بالدور الأرضى وتفضى إلى الشارع . فى مواجهة المدفأة المرمرية ، نافذة تطل على الشارع . إلى يمين ويسار هذه النافذة صورتان طراز القرن الثامن عشر يمثلان رب وربة البيت : أما الزوجة فهى فى سن العشرين ، فى رمز أسطورى دعائى ، وأما السيد فهو مرسوم على نحو صورة "ديدرو" ، فى ملابس المنزل ، الرقبة مكشوفة ، منديل عنق حول الرأس ، فى حالة عمل ، يتحدث إلى مستمعين غير موجودين . الصورتان تبدوان وكأنهما متناسقتان مع تمثال فولتير النصفى ، الذى يبتسم فوق المدفأة الكائنة فى الجهة المقابلة .

معزف كبير ، تحت صورة مدام دى كورفوازييه (وهى أقرب الصورتين من الدرابزين) يهيئ خلوة أخرى من أجل التحدث على حدة .

الشعور السائد هو شعور بوسط راق ، مع آثار واضحة من ضيق الحال والفوضى والإتلاف . المدفأة الأثرية فارغة : سوف يشعل فيها ، فى النهاية ، لهب ضئيل . المكتب والمنضدة مزدحمان بالأوراق التى نرى وسطها فنجانين للقهوة . الثريا عارية (جرداء) . قنديل واحد سيستخدم بعد قليل فى إنارة المسرح .

المشهد الأول

يرفع الستار عن جماعة قليلة العدد - امرأتان شابتان (**صوفى دى كورفوازييه و لودوييسكا سيريزييه**) . فتاة (**كلوريس سوسى**) ، ضابط شاب (**أوراس بوشيه**) ، ورجل مسن (**دينى بايو**) - يمسك أفرادها بعضهم بعضا من أيديهم ، ويلفون حول الزنبقة المزدهرة وهم يغنون أغنية جريترى الوطنية الراقصة : " البراءة تعود . "

دينى بايو (**لاهث الأنفاس يحاول أن يتخلص من الرقصة**) - الرحمة ، يا شباب ! كلوريس ، لودوييسكا ، أوراس - كلا ، كلا ، دور آخر !

(العجوز ، الذى خلص إحدى يديه ولا يزال ممسوكا من الأخرى ، يعود إلى المسرح ، وهو يجر وراءه الشلة الصغيرة التى تواصل الغناء . يسقط جالسا فوق أحد الكراسى ، وفيما هو يلهث ، يبدأ الشبان الثلاثة حوله - وهم يتضاحكون - أغنية راقصة جديدة ساخرة ، على لحن جريترى : " من أجل غرس شجرة الحرية .")

(كلوريس تضع ، وهى تغنى ، فوق رأس العجوز غصن زنبقة ملويا على شكل تاج .)

كلوريس ، لودوييسكا ، أوراس **(وهم يغنون)**

" لمظهره الرقيق ، عودى للحياة

أنت يا من جمدتك الشيخوخة ...

انظرى إلى أبنائك وهم يعصبون

من هذه النقوش المزهرة جباهك المبيضة ... "

صـــوفـى : صديقى العجوز ، لقد جئت لكى أخلصك . هيا ، أيها المجانين الصغار ، دعونا نتنفس ! ارقصوا ، دوروا ، لفوا ! أما نحن فإننا نخرج من التيار ، نحن معشر المسنين ...

ديـــنـــى : إننى أحتج ! ليس فيكم مسن غيرى .

صـــوفـى : أيها الأنانى !

أوراس ولودوييسكا : إننا نحتج جميعا ! هذه نكتة !

صـــوفـى : لقد قطعت الآن نصف الطريق . **(مخاطبة دينى بايو)** مهما تحتج ، فأنا فى جانبك .

ديـــنـــى : حظ سعيد ! لن أقول كلمة بعد ذلك .

لودوييسكا : أما نحن ، فإننا لن ندعه يسلبك منا ! كلا ، كلا ، أنت منا . أنت الأصغر سنا !

صـــوفـى : (وهى تكشف فوق صدغها عن جديلة بيضاء) انظروا إلى هذا الشعر الأبيض !

لودوييسكا : ما أجمله ! إن كلاً منا ، لو بحث جيدا فى رأسه لوجد مثله .

أوراس : عندى منه ، أنا أيضا .

لوبوييسكا : وأنا .

كلوريس : وأنا .

الجميع : **(ضاحكين)** لا ؟

كلوريس : صحيح ! عندى واحدة .

(تظهرها)

صوفى : إنها شقراء .

كلوريس : إنها بيضاء .

أوراس : ومن ذا الذى لا يكون عنده شعر أبيض ، بعد كل ما قاسيناه منذ خمسة شهور ؟ !

لوبوييسكا : خمسة شهور ! قل الضعف !

كلوريس : قل ثلاثة أضعاف .

أوراس : كلا ، علينا ألا نتحدث إلا عن هذا الشتاء ! أما الباقى ...

دينى : نعم ، الأفضل أن نسكت .

كلوريس : آه ! كل ما قاسيناه !

لوبوييسكا : بلا نارٍ لمدة أسابيع كاملة .

دينى : بلا خشب ، ولا خبز !

كلوريس : أوه ! أما أنا فقد كنت أشعر بالبرد لدرجة أننى كنت أجد الشجاعة الكافية فى الصباح ، لكى أغادر فراشى .

لوزوييسكا : أما أنا ، فكنت أتجمد فى فراشى . لقد أصبح الآن كبيرا جدا !

أوراس : **(بغمزة)** لابد من ملئه .

ديـــــنـــــى : ذات مرة ، قضيت ست عشرة ساعة فوق رصيف بيرسى ، بين السابعة مساء والحادية عشرة صباحا ، فى مهب الريح الشمالية الباردة ، وأنا أنتظر توزيع جوال من الخشب وربع كيلو من الدقيق ، تحتَّم على بعد ذلك أن أجرها على عربة يد بعجلة واحدة فوق الجليد. ولقد سقطت مرتين .

صـــــــوفـى : أيُّهما الأقوى ؟ الجوع أم البرد ؟

أوراس ولوبوبيسكا : أوه ! الأسوأ ، هو البرد !

أوراس : كلا ، الجوع .

لوبوبيسكا وكلوريس وصوفى : البرد ، البرد ، البرد !

أوراس : الجوع ، الجوع ، الجوع !

لوبوبيـــسكا : أيها الشره !

كـلـــوريـــس : أوه ! إننى أفـضـل مـائة مـرة ألا يكون لدى مـا آكله وأستطيع فقط أن أدفئ قدميَّ خمس دقائق .

لوبوبيـــسكا : أما أنا ، فإن ذلك يبكينى ! **(أوراس يضحك)** تضحك أيها المتوحش ... أوه !
أنت ، أنت لا تعرف شيئا !

أوراس : فى جيش موزيل ، نمت فوق الجليد ... صحيح أننا كنا نحرق كوخا صغيرا فى بعض الأحيان لكى نستدفئ

ديـــــنـــــى : والذين كانوا بداخله ؟

أوراس : لم نكن نهتم بالنظر إلى ما بداخله .

كـلـــوريـــس : أما أنا ، فعندما كان يبلغ بى البرد أشده ، كنت أفضل ، أجل ، أجل ، كـنت أفضل أن أحترق !

لوبوييسكا : ويصفون جهنم بأنه مكان نُحمى فيه .

أوراس : إن جهنم هى أن نذهب إلى العدو ببطون خاوية .

أوراس ولوبوييسكا : البرد !

أوراس : كلا ، الجوع !

صوفى : لقد قاسينا من الاثنين . هيا ، لا مجال للغيرة !

كلوريس : يا إلهى ! كم كان الوقت طويلا! ذلك الشتاء ، ذلك الشتاء الذى لم يكن يريد أن ينتهى !

صوفى : لقد انتهى الآن . فلا نتحدث عنه بعد ذلك . ولنتمتع بالشمس الجميلة !

دينى : أول يوم جميل من الفصل الشاب... صديقتنا الساحرة ! يا لها من فكرة جميلة أن تقومى بدعوتنا للاحتفال به فى حديقتك !

لوبوييسكا : تمجيدا للربيع ، الذى يُبعث فى زنبقتك المزهرة !

صوفى : هل كان بوسعى أن أحتفظ به لنفسى ؟ فى زمن المجاعة هذا ، يجب على كل منا أن يتقاسم مع أصدقائه فتات سعادته .

لوبوييسكا : نعم ، إن السعادة أصبحت نادرة !

دينى : السعادة ؟ لقد أصبحت بالنسبة لنا كلمة غريبة .

كلوريس : ما أطول الزمن الذى مضى دون أن نضحك ! أوه ! يا إلهى !

(تجهش بالبكاء)

صوفى : حبيبتى ،حبيبتى ، ماذا بك ؟

كـلـوريـس : هل من حقنا أن نضحك ؟

ديـنـي : نعم ، فقد تألمنا أكثر من اللازم .

صـوفـي : (**مخاطبة كلوريس**) ولكننى أعتقد تماما أن هذا من حقنا يا حبيبتى ، بل من واجبنا .

كـلـوريـس : وكل من فقدناهم .

لودوييسكا : زوجى .

كـلـوريـس : وخطيبى .

ديـنـي : وابنى .

صـوفـي : صه ! صه !

أوراس : (**مخاطبا لودوييسكا**) وأولئك الذين سنفقدهم ، ألا تهتمون بهم ؟

لودوييسكا : أولئك الذين معنا ، أحتفظ بهم . لا أريد أن أفقدهم . كلا ، لا أريد ذلك !

أوراس : إذن ، علينا ألا نفكر فى الآخرين ! ولنرقص !

لودوييسكا : فلنرقص ، أيها الخبيث !

أوراس : (**مخاطبا كلوريس**) وأنت أيضا ،يا صديقتى الصغيرة .

(كلوريس تتردد وتنظر إلى صوفى)

صـوفـي : هيا ، يا صغيرتى .

أوراس : هيا ، فلنستأنف الرقصة !

(الشبان الثلاثة يخرجون إلى الحديقة ويبدءون من جديد فى الغناء والرقص . دينى وصوفى ظلا فى حجرة الاستقبال ، جالسين إلى اليسار ، بين المكتب والباب الداخلى ، بالقرب من الدرابزين)

ديـــــنـــــى : كل يفكر فى أحزانه : هذه فى خطيبها ، وتلك فى زوجها ، وأنا أفكر فى ولدى ،الذين ماتوا ... ولكن الحياة أقوى ...

صـــــوفـى : حتى عندك ، يا صاحبى العجوز ؟

(طوال هذه البداية من الفصل ، تحتفظ صوفى بهدوء لطيف باسم ، يتميز عن الاضطراب الذى يموج فيه الآخرون)

ديـــــنـــــى : حتى عندى ... إننى أشعر بالخجل .

صـــــوفـى : لستم وحدكم . اسمعوا !

(من الجهة الأخرى لجدار الحديقة ، يسمع فى الشارع مرور أصوات تغنى . كمان ، ناى ، طبلة ، صيحات فرح)

ديـــــنـــــى : نعم ،هذا الحشد الذى يمر وهو يغنى طربا ،لا يوجد فيه واحد لم يلق نصيبه من المعاناة ، وقسطه من التضحية فى الحرب أو الثورة ، لا يوجد واحد غده ليس مثقلا بالقلق كما كان أمسه مثقلا بالعذاب .

صـــــوفـى : لذلك فهم يغنون : حتى يكفوا عن التفكير فى ذلك .

ديـــــنـــــى : لأنهم يفكرون رغم كل شىء . انظرى !

(الرقصة توقفت فى الحديقة)

أوراس : ماذا تسمعون فى الخارج ؟ ... فلننصت ...

(يصمتون لكى يسمعوا ، فى الخارج ، صوت بائع الجرائد)

أوراس : **(مكررا)** " بريد المساواة ... معركة كبرى فى ... العدو على ... "

(يجرى نحو الجدار ، يتسلق الحافة ، يمد يديه من فوق القمة ، ينادى البائع)

بست ! ... أيها المواطن ... شكرا ! .

(يعود بالصحيفة . تسرع المرأتان وتلتفان حوله ، لكى تقرأها)

أوراس : قوات الملوك يعيدون تكوين صفوفهم ، من نهر الموز حتى الراين .

الجمهورية يجب أن ترد عليهم بمجهود ضخم . شمس الربيع تضرم السعير . سيتحتم علىَّ أن أعود إلى هذا السعير.

لوبوبيسكا : كلا ، كلا ! لا أريد ذلك !

دينى : ماذا نحن لكى نقول : " أريد " أو " لا أريد " ؟

أوراس : نعم ، إن الوطن يريد ذلك .

كلوريس : الوطن ؟ بل قل : " هؤلاء الرجال المرعبون ! ...

لوبوبيسكا : نعم ، اللجنة العليا .

(صوفى تضع أصبعا فوق فمها . الجميع يخفضون رءوسهم)

أوراس : إنها على صواب .

دينى : **(يسعل)** إنها هى الأقوى .

كلوريس : إنها كالغول وستلتهمنا جميعا .

لوبوبيسكا : **(تختم بيدها على فمه وتخاطب أوراس)**

ولكن ، على الأقل ، ليس الآن فورا . أوراس ، لن تذهب الآن فورا ؟

أوراس : كلا ،على ما أعتقد ،اللهم إلا إذا صدر أمر مفاجئ .

لودوييسكا : كم من الوقت أمامنا ؟

أوراس : ربما شهر .

لودوييسكا : أوه ! شهر ... بل هو الأبد ...

دينى : ياللشباب السعيد ! ما الذى لا نقبله نظير شهر من السعادة .

كلوريس : وأنا أيضا ،أنا شابة . ولم أتمتع به ،لم أتمتع به ... أوه ، بل إننى ما كنت لأطلب شهرا كاملا ... ولكن يوما ، يوما من السعادة !

صوفى : هدئى من روعك ، يا حبيبتى ، فستتمتعين به ، وبكثير غيره ؛ فالحياة أمامك لاتزال طويلة .

كلوريس : كلا ، كلا ، الحياة قصيرة .

صوفى : إن عمرى ضعف عمرك .

كلوريس : نعم ، على عهدك ... آسفة ! ... ولكن ، اليوم ، لم تعد الحال كما كانت .

فمن ذا يضمن الغد ؟

لودوييسكا : أنا . أضمن اليوم .

(تنظر إلى أوراس)

أوراس : **(وهو بالقرب منها ، يتناول يدها ، ويهمس لها)** هذه الليلة ...

(كلوريس ، وقد سمعت الجملة ، تحدجهما بنظرة حاقدة)

لودوييسكا : **(تلاحظ ذلك فتقبل باسمة نحو كلوريس الجالسة فوق ركبتى صوفى وتحاول أن تداعبها)** حبيبتى الجميلة !

كــلــوريــس : **(وهى تخلص نفسها فى غضب)** كلا ،لا تلمسينى
(تفر إلى الحديقة)

لوبوبيــسكا : ماذا بها ؟

ديــــنـــى : **(بشىء من العتاب)** أنت تعرفين السبب جيدا .

أوراس : إنها تحسدنا .

ديــنـــى : إنها ليست الوحيدة .

صــــوفـى : **(مبتسمة لدينى و أوراس)** اذهبا لمواساتها !
(مخاطبة لوبوبيسكا) كلا ،أنت لا ، أيتها الأنانية ، ابقى هنا !
(دينى وأوراس يخرجان . تبقى صوفى و لوبوبيسكا وحدهما . لوبوبيسكا ضاحكة ، سعيدة ، تلقى بنفسها على ركبتى صوفى الجالسة وتضمها بين ذراعيها)

لوبوبيــسكا : نعم ، أنا كذلك ، أنانية ، أنانية ، أنانية ! ولا أحب ألا أن أكـون كذلك ، عندما يكون جميلا أن نكون كذلك ! عنفينى ! عنِّفينى !

صــــوفـى : **(مبتسمة)** لن يجدى ذلك شيئا .

لوبوبيــسكا : أوه ! أجل ! إن هذا يزيد من متعتى ... كلا ، لا تحقدى علىَّ ! فلطالما ، لطالما قاسيت ! ... زوجى ، هكتورى ، ينتزعه ، من بين يدى الموت اللدود!... آه ! كم بكيت !

صــــوفـى : متى فقدته ؟

لوبوبيــسكا : **(ببساطة)** قبل ستة ... كلا ، قبل خمسة شهور ... أجل ، كان ذلك فى أكتوبر . وأصبحت لا أطيق الحياة . لقد انتهى كل شىء بالنسبة لى ... وهاك كل شىء قد بدأ ...

(مستدركة) كل شىء قد بدأ من جديد ... هيكتور المسكين ! ... أوراس العزيز ! ...

صوفى : كل أبطال العصور القديمة ...

لوبوبيسكا : أرجوك أن تسكتى ! ... يبدو لى أن الأمر يختلفُ ... إننى أمنعك من السخرية .

صوفى : إننى لا أسخر ...

لوبوبيسكا : إننى على ثقة تماما من أن هكتور يستمتع معى ... تبتسمين ؟

صوفى : وأنت أيضا .

لوبوبيسكا : كلا ... نعم ... آه ! كم يلذ لنا أن نكذب على أنفسنا ،إن حاجتى إلى التمتع بمثل رغبتى فى أن يتمتع هو أيضا . إننى أعلم تماما أنه لم يعد يشعر بشىء. ولكن ، أنا ، أنا التى أحس ، هل أنا مخطئة ، قولى ، هل أخطئ فى حقه ، إذا كنت أريد أن أتمتع بهذه البقية من عمرى التى لازلت أحياها ؟ هل تظنين أنه يمكن أن يبغضنى ؟ كلا ، كلا ، يجب أن يسعد لما يسعدنى . أليس كذلك ؟ مادام كان يحبنى ! ... ثم مادام قد مات ! ... مسكين يا هكتور ! ... آه ! الحياة ، الحياة ، شىء جميل !

صوفى : هناك حياة وحياة . الحياة بالنسبة لك ، هى الحب .

لوبوبيسكا : **(فى الحوار الودى بين المرأتين ، يوجد – من جانب لوبوبيسكا ، عندما تعجب بحكمة صوفى – نبرة من السخرية ، ومن جانب صوفى ، نبرة من القنوط الباسم ، وهى تتقبل ثناها)**

ليس هناك حياة إلا بالحب ... تبتسمين ثانية يا صديقتي العاقلة ،أجل ، فأنت ، أنت فوق مستوى ضعفنا . إنك تعيشين حياة جميلة ، واضحة تماما ، مترابطة تماما . ولقد عرفت كيف تحمينها من العواصف الاجتماعية ومن اضطرابات القلب . أنت محظوظة . إنك تتمتعين برباط زوجي لا تعكره سحب، لم تنل منه نزوات العواطف أبدا ، يسوده الصفاء ويكاد يكون نبويا، - بصحبة رجل عاقل - مثلك - رجل مرموق ، محترم ، تربطك به ، منذ الطفولة ، روابط حنان ورع . سماء صافية . آه ! كم أعجب به !

صــــــوفـى : (**مبتسمة**) ولكنك قد لا تنزلين عنه مقابل سحابة من سحبك .

لودوييــسكا : مقابل حبيبي أوراس ؟ كلا ، كلا ! لا أنزل عنه . لكل منا نصيبها ! لكن نصيبك أجمل .

صــــــوفـى : إنه أشبه بتلك النساء الجميلات ، اللائى يثرن إعجاب الجميع . لكننا نحب غيرهن .

لودوييــسكا : اسكتى من فضلك ! إنما نتمنى أن نكون أنت . لكن ليس هناك سواك من يستطيع أن يكون أنت ...

صــــــوفـى : (**مبتسمة**) هذا بالضبط ما قلته الآن !

لودوييــسكا : (**التى لم تسمع**) ... الصديقة ، موضع سر الرجل العظيم ، بل ملهمته ، الرجل العظيم الذى كان صديقا لفولتير ، وهو الآن صديق " كارنو "

ديسنى : (**الذى دخل منذ قليل وسمع الجملة الأخيرة**) الذى كان مستشار دائرة المعارف ، وهو الآن مستشار اللجنة العليا . عالم . محب للإنسانية ، فيلسوف ، عضو فى مجمع اللغة ولجنة الميثاق ... مجد تأسس فى ظل الملك الأسبق ، وبقى ثابتا بعد سقوط الملوك ، ويرى النظم تتوالى فارضا نفسه عليها جميعا ، وظل حصينا وسط الأحزاب الهائجة التى تمزق بعضها

صوفى : يا أصدقائى ، إنكم لا تدرون على أية أسس واهية يقوم هذا الأمان

ديسنى : على أية حال فنحن نعلم أنه ليس أنانيا . فكم من مرة خدمنا مركز " جيروم كورفوازييه " تارة ليخفف عنا جانبا من بؤسنا وتارة ، ليشمل بحمايته الأصدقاء المهددين فى الساعات الحرجة

بودوبيسكا : ونحن نعلم أيضا لمن ندين بهذه الحماية ، للرفيقة المتزمة

ديسنى : صوفى مثل القديسة صوفى ، اسم على مسمى [1]

بودوبيسكا : الحوريه المطمئنة

ديسنى : ذلك الذى نستطيع أن نحصل منه على كل شىء .

بوبيسكا : ربما معه

(١) نسبة إلى القديسة صوفى

ديـــنـــى : وكيف لا نكون معه ؟ لقد ظل "چيروم كورفوازييه"، في هذا العصر المجنون ، الرجل الوحيد الذى لايزال يمارس دورا ملطفا ، لدى سادة الحياة والموت .

صـــوفـى : واسفاه ! إن هذا الدور ضعيف ، ويزداد ضعفه يوما بعد يوم .

لودوبيسكا : **(بشىء من الحسد)** مهما يحدث ، فأنت على الأقل في أمان ، لا شيء يمكن أن يصيبك .

كـلـوريـس : **(راجعة مع أوراس . لقد نسيت تماما الحزن الذى انتابها قبل قليل)**

أوه ! البؤساء ! البؤساء !

صـــوفـى : ماذا إذن ؟

كـلـوريـس : ذلك الذى عرفناه الآن .

(تقدم جريدة إلى صوفى)

صـــوفـى : صحيفة أخرى من تلك الصحف المخيفة . كلا . لا يجب أن نقرأ شيئا بعد الآن !

لودوبيسكا : أيتها الآمنه المطمئنة ، إننا لا نملك مثلك السبب الذى لا يجعلنا نقرأ . نحن نعرف أنه شيء مؤلم . ولذلك فنحن نمارسه .

(تناولت الجريدة)

كـلـوريـس : كلا ، اسمعوا ! إنه لشيء فظيع ! بيتيون ، وبوزو ، وفالليه ...

صـــوفـى : **(في هلع ، ولكن بصوت متماسك)** فالليه ! ...

(نهضت من فوق مقعدها . لا أحد من الآخرين يعير حركتها أو صرختها أى انتباه . الجميع ملتفون حول لودوييسكا التى تمسك بالجريدة)

كلوريس : فى بوردو ، وجدوهم ، قتلى ، وقد التهمت الذئاب أنصافهم ...

(وسط الاضطراب العام ، لا أحد يلمح اضطراب صوفى ، التى تسقط جالسة، دون حركة ، ودون كلمة . تغطى وجهها بيديها ولا تتحرك)

أوراس : **(يوجز ما قرأه ، لودوييسكا و كلوريس و دينى يميلون معه فى لهفة على الجريدة)** منذ شهور ، وهم يطاردونهم . والكلاب التى أطلقوها وراء الأثر قادتهم إلى كهف ، فى محجر مهجور . وقد تعرَّفوا بيتيون وقد برزت أحشاؤه من بطنه ...

دينى : ملك باريس القديم ، عمدتنا ، ورئيس المجلس الذى كانوا يتملقونه ...

لودوييسكا : **(تقرأ)** والآخر ... وقد أكل وجهه ... أوه ! أعوذ بالله ...

(تعطى الجريدة للآخرين)

أوراس : **(مواصلا)**... وانتزع أنفه ، وشفتيه ... كانوا يشكون فى الأمر ... قالوا : إنه بوزو ... ولكن الأوراق التى كانت فوق الجثة كانت تقول : إنه فالليه .

كلوريس : مساكين !

ديـــنـــى : لا تسرفى فى رثائهم ! لقد وجدوا طريقة للهرب من المقصلة التى صعد فوقها فى الأسبوع الماضى أصدقاؤهم ومنهم " باربارو " و " جوديه "

لودوييسكا : نعم ... ولكن كم تعيّن عليهم أن يتعذبوا قبل ذلك !

أوراس : وبعد ، فالأمر سيان ..

ديـــنـــى : هكذا كان من المفروض أن ينتهى ذلك ... ذلك التمرد المجنون ...

كـلـوريـس : ولكنك كنت تؤيدهم قبل فترة قصيرة .

ديـــنـــى : أبدا !

كـلـوريـس : لقد سمعتك تقول ...

ديـــنـــى : أبدا !

كـلـوريـس : كنت تعجب بهم جميعا

لودوييسكا : اسكتى ، أيتها الصغيرة !

(صمت قصير)

ديـــنـــى : **(وهو يسعل)** لقد خدعوا الجميع . كنا نظنهم الجانب الأقوى . لماذا نثور إذا كنا نمثل الجانب الأضعف ؟

(صمت . صوفى تكشف عن وجهها وتظل ثابتة فى كرسيها ، ناظرة أمامها، وقد ذهب عنها انفعالها ، بابتسامة آلية جامدة)

كـلـوريـس : فالليه المسكين الصغير ! لم يكن بلغ الثلاثين من عمره !

لودوييسكا : لقد رقصت معه ، فى ربيع ذلك العام ... لقد كان من أصدقائك أيضا يا صوفى

(صوفى لا تجيب ولا تتحرك . لودوبيسكا من الحماس بحيث لم تلحظ ذلك ، تواصل كلامها)

لودوبيسكا : راقص ساحر فاتن !

كلوريس : وما كان أبرعه فى إلقاء أشعار فلوريون !

لودوبيسكا : كان كذلك شجاعا باسلاً . إننى أراه على رأس كتيبه ، وهو يسير ، وقد تناثر شعره فى الهواء ، بعد مهاجمة قصر التويلرى .

كلوريس : كانت متعة لنا أن نذهب لنراه وهو يخطب فوق منصة المجلس .

أوراس : كان ساخرا وعنيفا . كانت كلماته تتسم بدهاء رهيب ، وكانت تجعل عينى روبسبيير تكثر من الرمش خلف نظارته القديمة . عندما كان يخطب أحد أعدائه كانت المنصات والصالة تموج بالضحك والصراخ ، تحت وقع القذيفة .

لودوبيسكا : أما أنا ، فقد كنت أنظر إلى شفتيه

أوراس : لودويسكا ، إننى أشعر بالغيرة .

دينى : الغيرة ؟ من شفتيه المنزوعتين ؟

لودوبيسكا : آه ! ياللفظاعة !.. ولكن لماذا ، لماذا راح يحترق بنار السياسة !

أوراس : إن لدينا مثل طموحه ...

لودوبيسكا : الحب ، أليس أفضل من ذلك ؟

أوراس : إننا نريد أن ننقذ الوطن .

لودوييسكا : إننى أريد أن تنقذنى أولا !... يجب على المرء أن ينقذ من يحب .

دينـى : بل يجب أولا أن ينقذ المرء نفسه ...

(يصيحون دهشة)

أجل ، تدهشون !... سوف ترون ، أيها الشبان ، حينما تصبحون فى مثل سنى!... الطموح والحب ، شىء جميل ، ولكنه يزول . إن الذى يبقى حتى النهاية ، هو الفرد نفسه . والمحافظة عليه مهمة مقدسة .

أوراس : أجل ، أن ينجح الإنسان فى أن يعيش أمر أصبح فى أيامنا مهنة صعبة . ولن يتوافر لنا الوقت ، نحن أيضا لكى نتعلم ذلك .

كلوريس : ولكننى أريد ذلك ، أنا ، أريد ذلك ! **(مخاطبة دينى)** علمنى السر ...

دينـى : السر هو ألا نكترث . يجب على المرء يا ابنتى أن يختار ، إما أن يرى غيره يموت وإما أن يموت هو .

كلوريس : إننى لا أريد أن أموت !

(الشلة الصغيرة : كلوريس و دينى و أوراس ، ابتعدت وهى تتحدث وتضحك. تبقى لودوييسكا وحدها بالقرب من صوفى . المرأتان موجودتان فى الركن المحجوب عن الأنظار المتجهه من الحديقة ، بين المكتب والدرابزين)

لودوييسكا : صوفى أيتها الصامته ، إنك تتركيننا نتحدث ، ونتحدث ، ونضطرب ، وأنت ، أنت تظلين مكانك ، متفرجة عطوفة

وغريبة بعض الشيء . ثابتة ، متكئة وكأنك متكئة على شرفتك ، تتطلعين إلى انفعالاتنا من بعيد ، بعينيك الجميلتين الرماديتين وابتسامتك الصامتة . كم أنت هادئة ، هادئة !

صوفي : **(دون أن تتحرك ، دون أن ترفع صوتها)** أجل ، الهدوء ، هدوء وألم ليس له من قرار .

لودوييسكا : **(مأخوذة)** صوفي !...

(صمت)

ماذا تقولين ؟...

(صمت)

ماذا قلت ؟...

(صوفي لا تجيب ، لا تأتي أية حركة . لكن لودوييسكا التي مالت عليها لتتفرسها ، تندفع نحوها بشدة)

لودوييسكا : صديقتي ، تبكين !

(صوفي تضع يدها فوق فمها ، لتشير إلى لودوييسكا بالسكوت)

(صمت)

(صوفي تبحث عن منديلها لتجفف دموعها . لودوييسكا تتناول منديلها ، وبرقة ، تجفف عيني صوفي)

لودوييسكا : هل تتألمين ؟ أنت يا من تبدين للجميع صورة للهناء ! ... أنت يا من تملكين كل شيء . كل الخير : الحب ، والشهرة ، والسلطان ، والإيمان بهذه الثورة ،التي ساهمتِ وزوجك في إشعالها ...

صــــــوفـى : (**متماسكه**) ليس بى شىء .

توبوييــسكا : كلا ، كلا ! لا أصدقك !

(**صوفى تشير إليها بالسكون . دينى بايو يقترب**)

ديــــنــــى : أليس من المفروض أن يعود چيروم بعد قليل من المجلس ؟

صــــــوفـى : (**تستعيد لهجة المحادثة**) لا يمكننا بأى حال أن نتنبأ بالفترة التى تستغرقها الجلسة . لقد كنت فى بعض الأحيان أنتظره طوال الليل ، حتى الفجر .

ديــــنــــى : ومع ذلك فلا يلوح اليوم أن أحداثا خطيرة ..

صــــــوفـى : فى أيامنا هذه ، من يستطيع أن يتنبأ بما سيحدث قبل وقوعه بساعة واحدة .

(**فى الشارع خلف جدار الحديقة ، يسمع مرور موكب ، وموسيقى وزمامير وطبول ، صوت عربات ، وخيول تعدو ، وصياح جماهير**)

كــلــوريــس : ماذا هناك ثانية ؟

أوراس : إنها المجموعة الجديدة التى تمثل نظام المقصلة .

(**يأتى حركة قطع الرقبة**)

كــلــوريــس : (**وهى تسد أذنيها**) لا أريد أن أسمع ...

(**ترفع يديها عن أذنيها ، وتجرى ناحية الحديقة**)

أوراس ، هيا نشاهدهم !

(**تخرج مع أوراس**)

ديــــنــــى : إذن فالعربة تمر من هنا ، الآن ؟

صــــــوفـى : أجل ، إن شارع فلورنتان ، فى هذه الأيام ، منزوع البلاط .

(دينى يخرج ، يدفعه الفضول ، فى إثر الاثنين الآخرين)

لودوييسكا : **(وقد بقيت وحدها بالقرب من صوفى)**

صوفى ، إننى لا أصدقك !.. كنت تقولين منذ برهة

صوفى : دعينا من ذلك !

لودوييسكا : كلا ، كلا ، أرجوك ! اعتبرينى صديقة لك

(صوفى تشير لها نحو باب الحديقة)

لودوييسكا : أجل . هذه الضوضاء البغيضة ..

(تسرع بغلق الباب وتعود . أصوات لحن السير السريع والصيحات لاتزال تصل الآذان ولكنها أصبحت خافتة)

لودوييسكا : قولى ! أخبرينى ! **(تتناول يديها وتقبلها)** صوفى ، أنت ظالمة . ألم تحصلى على نصيبك الجدير من السعادة ؟ وما من شىء عكّر صفو زواجك أو حبك

صوفى : **(بمرارة)** حبى ؟ لم يحببنى أحد . لقد حملت شبابى ، وقوة أملى ، وحاجتى إلى وهب نفسى إلى رجل كنت أحترمه . ولا زلت أحترمه وأعجب به

فلماذا صنع ذلك ؟ لقد ضحى بى فى سبيل عقيدته

لودوييسكا : أولا تؤمنين بها أنت أيضا ؟

صوفى : إيه ! وفيم تهمنى عقيدتهم ؟ إذا كنت أحببتها ، إذا كنت أعتقد أننى أحبها ، فذلك لأنهم كانوا يحبونها هم ، إنهم هم الذين كنت أحبهم من خلالها . فماذا جنيت منهم ومنى

لودوييسكا : **(التى تحاول أن تفهم)** تقولين هذا ؟

صـــــوفـى : **(بحدة)** أقـول إننى أكره هذه العـقيـدة ، أبغـضـهـا ... اسمعى ! ...

(يسمع على الرغم من الباب المقفول الذى يحد من شدة الضوضـاء جلبـة صـائحين وضـحكات عنيفـة . ثم تخف الضوضاء ، ويخيم السكون من جديد ، وتستأنف صوفى ، بحقد مكظوم ، وبصوت خفيض :)

صـــــوفـى : إننى أكـرهـهـا ، كل هـذه العـقـائـد ، الواهيـة ، المهووسـة التى يتهافت عليهـا الرجال ، كما يتهافتون على الرذيلة التى تدمـر الحـيـاة . إن الحـيـاة ، هنا ، بالقرب منا ، فى منتهى البساطة ، فى منتهى الوداعة ! ليس علينـا إلا أن ننحنى لقطفها . ولقد أصبحوا عاجزين عن تذوقها . إن عقيدتهم هوس ، سـم زعاف يغرقهم فى جنون مؤقت قاصف مميت . لقد ضحوا بى فى سبيلها ... آه! وهذا أيضا ما كان يهمنى ! ...

لوبوبيـسكا : **(نظرتها معلقة بشفتى صوفى)** ماذا إذن ؟

صـــــوفـى : لقد ضحوا بأنفسهم .

لوبوبيـسكا : كيف ! زوجك ؟

صـــــوفـى : كلا ، ليس هو .

لوبوبيـسكا : من إذن ؟

صـــــوفـى : **(وكأنها مكرهه ، تدفعها العاطفة)** لقد سمعت ... قبل قليل ... هؤلاء البؤساء ... هؤلاء الذين حكموا عليهم بالنفى من البلاد ...

لودوييسكا : (**كاتمة صرخة**) فاليه !

(تنهض صوفى لتهرب من الإجابة . فى هذه اللحظة ، يفتح باب الحديقة من جديد وتدخل كلوريس فجأة ، وتصيح:)

كلوريس : أه ! خمنى ، خمنى ، من الذى رأيته فوق العربة !

(صوفى تلتفت ، ولودوييسكا تبعد كلوريس بحركة)

كلوريس : (**فى غاية التأثر**) كلا ! خمنى ، خمنى ، يقطعون رقبة من الآن ! ...

العقل ، عقلهم فى سان أوستاش ، عقلهم المفكر الذى كانوا يتوجهون إليه بصلواتهم ... لقد عرفته ... العقل ، العقل ! ...

دينى : (**بلهجة فلسفية**) منذ زمن بعيد ، يا ابنتى راح العقل وانصرف ! ...

كلوريس : أوه ! هلا سكتِّ ، بكلماتك المموجة !

(يواصلان التحدث فى أقصى حجرة الاستقبال ، إلى اليسار ، بالقرب من باب الحديقة كأنما قد شعرا بأنهما يفسدان على صوفى ولودوييسكا حديثهما . هاتان الأخيرتان انسحبتا إلى الركن المقابل ، إلى اليمين بالقرب من الدرابزين محتميتين بالمعزف الكبير الذى يحجب عنهما رؤية الباب الأيمن فوق السلم. لكنهما جالستان أمام المرآة الموجودة على الجدار الأيسر ، والتى ينعكس عليها هذا الباب)

لودوييسكا : **(تناولت يدى صوفى ولا تتركها رغم محاولات صوفى للتخلص)**
(بصوت خفيض ولحوح) إنه فالليه ؟ ... صوفى ، أخبرينى ، أهو فالليه ؟

صوفى : **(جالسة ، ويداها فى يدى الأخرى ، تحول رأسها بألم)**
آه ! لا تطعنينى مرة أخرى ، باسمه !

لودوييسكا : **(تاركة يدى صوفى ، وقد فاضت بها الشفقة)** أوه ! حبيبتى المسكينة ! هل كان بوسعى أن أتصور ؟ ... كم أرثى لك ! شىء فظيع ! .. ونحن الذين كنا ، قبل قليل ، نغمد الخنجر فى قلبك دون أن نعلم ، أسفة ، سامحينى ! ولكن من كان يخطر بباله ؟ أجل ، لقد لاحظت منذ وقت قريب .

صوفى : **(بصوت خفيض عاطفى)** كنت أحبه. وكان يحبنى . كان كل حياتى . وكنت كل حياته ... ذلك ما كنت أعتقده ، على الأقل . ولكن ذلك لم يكن صحيحا ، مادام قد راح ليموت من أجل تلك العقيدة المشئومة ... آه ! إذا كان قد ضحى بنفسه فى سبيل تلك العقيدة ، أفلم أضح أنا أيضا ، ألم أضح بنفسى أيضا فى سبيل عقيدة أخرى ؟

لودوييسكا : أية عقيدة أخرى ، يا صوفى ؟

صوفى : **(بحقد)** ذلك الشرف العائلى ، الذى حافظت عليه دائما

لودوييسكا : صوفى ، أخبرينى بكل شىء ! ... ألم تكونا حبيبين يحب كل منكما الآخر ؟

صوفي : (بانفعال متزايد) نعم لم تكن . وهذا هو سبب شقائي اليوم . عبثا كان يتوسل إلي وحينما كان قلبي يدفعني إلى التسليم له . كانت عشر سنوات من الزهد الذي أضعته، وخرافة الوفاء التي تعتبر عادة أكثر منها تعقلا . ذلك الذي نسميه فضيلة . ذلك الصنم المعبود بلا عيون . لقد ضحيت في سبيله بكل شيء . بكل ما كنت أحبه في هذه الدنيا . والآن . لقد مات . والآن فقدته . فماذا أفاد ذلك ؟ ماذا ؟

(الآن ، دومينيكا هي التي تحاول تهدئة صوفي ، التي راح صوتها يكتسب نبرات ألم عاطفي . تشير إليها باتخاذ الحذر . لكن بقية الشلة التي راحت في محادثة صاخبة ، لا يبدو أنها تلاحظ شيئا)

صوفي تلزم الصمت . أودوكسيا تحدثها بصوت خفيض . ثم لا نعد نسمع سوى أصوات وضحكات الشلة الصغيرة المكونة من الأصدقاء الثلاثة الواقفين في الزاوية اليسرى حجرة الاستقبال بالقرب من النافذة المطلة على الحديقة)

المشهد الثانى

(على حين بغتة ، يحل صمت أشبه بالموت . الباب المفضى إلى السلم فتح منذ لحظة ، فى مواجهة الأصدقاء الثلاثة (دينى و أوراس وكلوريس) . لكن صوفى ولودوييسكا اللتين توليانه ظهريهما واللتين يحجبهما المعزف ، لا تريان شيئا مما يحدث)

رجل دخل . فى زى الشعب ، جاكونى ، الشريط فى قبعته . يغطيه الوحل، يبدو عنيفا أشعث . إنه شاب ، نحيف ، قوى ، ذو عينين متقدتين . يبدو أن هناك من يطارده . فتح الباب بقوة ، وبمجرد أن دخل أعاد غلقه بقوة أيضا ولكن بلا ضوضاء ، وهو يرصد سكون السلم . ثم يعود ، ويستند إلى الباب فى مواجهة الشلة الصغيرة التى رأته وهو يدخل . الثلاثة تأخذهم الدهشة . تصدر عنهم حركة فزع ، ولكنهم من الانفعال بحيث لا يستطيعون أن ينطقوا بكلمة .

فى هذه اللحظة ، صوفى و لودوييسكا متحصنتان فى صمت . لودوييسكا تلتفت ناحية الشلة جهة اليسار فترى ، دون أن تدرك ، الوجوه مضطربة . صوفى ، وهى ترفع نظراتها آليا إلى المرآة الكبيرة ، فوق المدفأة ، تلمح فيها الصورة المعكوسة للرجل المستند على الباب ، تنهض مطلقة صرخة لم تُلحظ وسط الاضطراب العام . ففى اللحظة نفسها ...)

دينى وأوراس وكلوريس (**يطلقون صرخة)** : فالليه !

فـــالليـــه : **(الذى لم يكن ينتظر أن يجدهم مجتمعين)** دينى بايو ... بوشيه .. كلوريس ... أصدقائى ...

(صوته مبحوح من فرط التعب والانفعال . يتجه نحوهم بقوة ، ويمد لهم يده فيتناولونها بارتباك وحرج . لكن عينيه تبحثان ، وراءهم ، وحولهم ، داخل حجرة الاستقبال ، عن تلك التى لم يرها . وفجأة يراها . الباقى لم يعد له وجود بالنسبة له . صوفى واقفة ، تستند بيديها من الخلف على المعزف ، تنظر إليه ، عيناها متسعتان من الانفعال ، والخوف ، والسعادة ، ثم يعودا يفكران فى الآخرين . فالليه يسرع نحوها ، باسطا لها ذراعيه . فتقبل نحوه .

فـــالليـــه : صوفى !

صـــــوفـى : على قيد الحياة !

(يلقى بنفسه عند قدميها ، يضم ساقيها ، يقبل ركبتيها من خلال ثوبها ، يقبل قدميها ، ثم ينتصب ، ويسند وهو يبكى ، خده ، وعينيه وفمه على جسم المحبوبة التى لا تقاوم ، بل تداعب بيدها وجه الحبيب)

فـــالليـــه : إنها هى ! لقد وجدتها ! .. إنها بين يدى ، أمسكها ، إنها بين يدى !

صـــــوفـى : **(دون أن تخلص نفسها ، تتناول رأسه ، تنعطف على وجهه ، تسر إليه ، بصوت خفيض ، بحنان)** انهض !

(فالليه ينهض ، عيناه معلقتان بصوفى ، ولكن ، لا يكاد يقف ، حتى يترنح ، فتسنده صوفى)

صــــــوفـى : سينهار ! .. أوراس ! لودوييسكا ! ... استند علىّ يا حبيبى ! .. ماذا بك ؟

استند جيداً ! تعال ... هنا ... فوق هذا الكرسى .

(تقـوده إلى أحـد الكراسى ، فى ركن الحـجـرة ، إلى اليسار ، قرب الدرابزين . فالليه جالس ، فى مواجهة الجمـهـور وقد أدار ظهـره لأقصى المسـرح . لا هـو ولا صوفى المنحنية عليه ، يريان ما يحدث خلفهما : دينى بايو ، أولا ، يختفى ، تتبعه بسرعة كلوريس ، ثم أوراس بوشـيـه الذى راح ، من مـدخل باب السلم ، يشـيـر إلى لودوييسكا لكى تلحق بهم . لودوييسكا ، مترددة ومتأثرة ، تنظر بالتناوب إلى فالليه الذى تسنده صوفى وإلى أوراس . تقرر آخر الأمر ، وتجتاز الحجرة ، لكى تأخذ وشاحها الموضوع فوق أحد الكراسى فى أقصى المسـرح إلى اليسـار . كل هذا يجـرى خـلال الفتـرة القصيرة التى استغرقتها صوفى فى توصيل فالليه إلى الكرسى وإجلاسه عليه)

صــــــوفـى : **(مواصلة حديثها مع فالليه دون أن تنظر خلفها)** انك ميت من التعب

تمدد ! ألم تأكل .. كلوريس ! لودوييسكا ! ساعدونى اصدقائى . حضروا شيئا من القهوة .. هنا خذه

فنجانا من فوق المنضدة ... **(تدهش للصمت فتلتفت)**
أين أنتم ؟ ... يا أصدقائى ...

فـــالليـــه : **(ثابتا ، جالسا فوق الكرسى ، دون أن يرى ما يجرى ، لا يجد مشقة فى فهم الموقف)** ألا تعلمين أننى خطير بالنسبة لكل من يقربنى ؟

(لوديبسكا ، الوحيدة من بين الأصدقاء الثلاثة المتأخرة بسبب البحث عن وشاحها الذى اضطرها إلى اجتياز الحجرة مرتين ، كانت لا تزال عند عتبة الباب عندما التفتت صوفى ولمحتها)

صـــوفـى : **(ساخطة)** لوديبسكا !

(لوديبسكا ، متأثرة وخجلة من النداء ، تتوقف ، تلتفت ، تتردد ، ترجع بضع خطوات ناحية صوفى التى تترك فالليه وتتقدم نحوها . تهمس لها فى اضطراب)

لوديبســكا : **(بسرعة وبصوت يكاد يكون خفيضا)** آسفة ... آسفة ... ، هذا جبن ، أعرف ذلك ... لكن اليوم ... اليوم ، بخاصة ، أريد أن أعيش ! **(الكلمة الأخيرة لا تكاد تسمع . تخرج مهرولة)**

(صوفى ، بعد لحظة ، تعود إلى نفسها ، تذهب وتأخذ من فوق المنضدة فنجانا ، تصب فيه القهوة ، وتحمله إلى فالليه مع شىء من الخبز)

فـــالليـــه : **(لم يأت حركة)** عليك أن تعجبى بقدرتى وسلطانى ! حيثما أدخل ، يدخل الخوف . هذا البائس **(يشير إلى**

نفسه) ، الذى لا يقوى حتى على الوقوف على قدميه ، يفر ، ويفرون منه . هاهى ذى خمسة أشهر وأنا أهيم على وجهى خلال فرنسا كلها ، مطرودا من كل سكن . كنا فى " دور دونى " سبعة رجال محكوما عليهم : بيتيون ، وباربارو ، وبوزو ، وجاديه ، وسال وفالادى . طرقنا أبواب ثلاثين صديقا . لم يفتح لنا واحد منهم . كنا نجر فى أقدامنا شبح المقصلة . كانوا يصابون بالرعب لرؤيتنا ، نحن وهى ، حتى إن واحدا دخلنا عنده صدفة، أراد أن يقتلنا ، ولما لم يكن هو الأقوى ، فقد هددنا، إذا بقينا ، أن يقتل نفسه .

(تندى عنه ضحكة عنيفة مريرة)

وذات ليلة ، سرنا تحت وابل الأمطار ، خلال الحقول المحروثة . إذ كنا قد اضطررنا إلى مغادرة المحاجر التى كنا نأوى إليها . بعد أن أبلغوا عن وجودنا فيها . أمل أخير كان يقودنا إلى عائلة صديقة لعائلتى منذ القدم : كنت، بصفتى محاميا ، قد أنقذت شرف أحد أفراد هذه العائلة فى قضية جنائية . كان الليل حالكا ، فضللنا الطريق . كنا نغوص فى الوحل حتى أفخاذنا . فالْتوت ساقى . وبعد ست ساعات من السير ، وصلنا ، منهكين . فطرقنا الباب . ومضت نصف ساعة من الانتظار . تحت وابل المطر والريح الباردة ، كانت أسناننا تصطك . وانفرج الباب . فصرَّحت باسمى .

فأغلق الباب من جديد . ومضت نصف ساعة أخرى انتابتنى رعدة وفقدت الوعى ... وبعد ساعة من المداولة ، أجابوا خائفين بأنهم لا يستطيعون استقبالنا . مكثت مترددا فى وحل الطريق . ومن خلال ثقب الباب صاح رفاقى قائلين . " ساعة فقط ، سقف نأوى تحته ! " فكان الرد : " لا ! " فعادوا يقولون : " على الأقل كوبا من الماء وقليلا من الخل ! " فكان الرد أيضا : " لا ! " .. فاستأنفنا هربنا ... ألا لعنة الله على الإنسان !

(صوفى ، واقفة بالقرب من فاليه ، تجمدها شفقة أليمة ، تنصت له . فاليه، الذى ألقى هذا السرد ، بصوت منقبض تقطعه انفعالات حادة مكتومة ، ورأسه ثقيل ، يثبت نظرة كئيبة نحو الأرضية عند قدميه ، يلتفت بشدة ناحية صوفى، ويسألها بصوت مبحوح مشوب بالعاطفة :)

وأنت ، ألا تطردينني ؟

صــــــوفـى : **(مائلة عليه ، فى حنان وتقدم له الفنجان)** حبيبى المسكين ، خذ ! لقد أضناك التعب !

فـــاليـــه : **(دون أن يتناول الفنجان ، باللهجة اللاذعة نفسها)** إننى أجلب الموت .

اطردونى إذن !

صـــــوفـى : **(ترفع الفنجان إلى شفتيه بينما هو يشرب)** اشرب !

(يشرب بنهم ، ويريد أن يتكلم بعد ذلك)

لا تتكلم ! ... كل ! أولا ، استرح .

(لحظات صمت ، في أثنائها تنصرف صوفي إلى خدمته ، تراه يأكل ، بشكل مشوق . فاللييه يتناول يدها ، يقبلها طويلا . لا تحاول هي أن تسحبها . تبتسم في حزن وفي حنان)

صوفي : **(بعد لحظة ، تضع يدها فوق رأس فاللييه)** كيف جئت ؟ كيف استطعت أن تصل إلى هنا ؟

فاللييه : اجلسي أمامي . إذا أردت مني أن أقوى على الإجابة ! دعيني أراك ! .. قريبا .. هنا ، اجلسي ! .

(يجلسها أمامه ، ويتناول يديها في أثناء إلقائه)

أوه أيتها الآلهة ! إنها هي ! .. لم تعد تلك الصورة التي يستحيل إدراكها ، والتي تتراقص أمام مخيلتي منذ شهور عديدة ... إنها هي .. وإنني أمسك بها ، إنني أشعر براحة يديها في راحة يدي ، وبلمسات أصابعها وحرارة جسدها تذوب في حرارة جسدي ... كلا ، لا تنزعيهما مني ! لا تدعيني أسقط من جديد في الهوة التي أخرج منها ! احتفظي بي بين يديك ، هما اللتان أنقذتاني

صوفي : ليت أن الله يهبهما هذه القدرة ! .. حبيبي ، قص علي لنستفد من اللحظات.
كيف نجوت ؟

فاللييه : حينما منع عنا جبن الأصدقاء الرهيب دلو الماء الذي لا نمنعه كلبا جريحا يتضرع إليك ، أعادت شدة اليأس إلى أرواحنا الحياة من جديد . أعاد إلي العيط

شعورى وقوتى . فنهضت ، صائحا : " فلنفر ، فلنفر من الناس ، فلنفر إلى المقابر ! ولكن هل نظل نخفى أنفسنا عن أعين هذا الجنس القذر ! إلى الأمام ! فلنسر فوق أجسادهم ، أو فلنمت ! لا حل وسطًا ! " وعدنا إلى عرض الطريق . وهناك ، على الأضواء الخافتة للنهار الوليد وتحت المطر ، قبلّت أصدقائى ، وقاسمتهم شيئا من طعامى ، وتجردت من صرة الثياب التى أحملها ، من كل ما يمكن أن يعوقنى فى سيرى : لأننى كنت قد عزمت على العودة إلى باريس . ظننى أصدقائى مجنونا ، ولكن ما من شيء كان يستطيع أن يزعزع تصميمى ، ولم يحاولوا على الإطلاق . لأننا ، عندما نفقد كل شيء ، فماذا نتدبر ؟ لم يكن الأمر يتعلق بحياتى . كان المهم أن أراك مرة أخرى .

صـــــوفى : (**مأخوذة**) أنا !

فـــالليـــه : أنت . كل ما أحب . أنت ... وأنت تعلمين ذلك تماما ! لا داعى أن نمثل مهزلة المجتمع ! فلم يعد هناك مجتمع . لم يعد هناك شيء . سواك . أنت وأنا ... فى عرض ذلك الطريق الأصفر ، الموحل ، الذى كان يمتد مستقيما يتصاعد منه الضباب ، صورة تلك المرأة - أنت - برزت مثل البرق . وفجأة ، توهجت أنا مثل عود من الهشيم . واختفى كل ما عداك . فكرة واحدة استبدت بى وهى أن أراك مرة أخرى قبل العدم الأبدى ! ... كانت هذه الفكرة

بالنسبة لى جرعة من نبيذ يكوى : أسكرتنى وأصبحت مخدرا ، مبللا بالمطر ومرتعدا من أثر الحمى ، متورد الساقين ، وبعد أن كنت قبل لحظة لا أكاد أستطيع أن أضع باطن قدمى على الأرض ، وجدتنى أنهض من فورى ، ووجدتنى مدفوعا إلى الإمام . وعلى الرغم من ثقل جسدى ، أخذته على كتفى لكى احمله لك . كنت أقول فى نفسى : " إذا سقطت ، فلتعلم على الأقل ، أنه عند سقوطى ، كان وجهى متجها نحوها ! " كنت على مقربة من ريبيراك " . أحمل جواز سفر مزور تنقصه تأشيرة الدخول ، ومررت فى طريقى إلى هنا ، على أكثر من عشرين مركز من مراكز المقاطعات . ولحسن الحظ فإن الفلاحين لا يعرفون القراءة . كنت أقوم بنفسى بعمل التأشيرة والتوقيعات . كان يجب على أن أتخذ التدابير لكى لا أرقد إلا فى القرى وألاّ أجتاز المدن إلا فى غفلة من الحراس المرابطين عند المداخل . أما كيف مررت ، فلم أعد أستطيع لذلك تفسيرا . فلو كنت رابط الجأش ، لما استطعت أن أفعل ذلك . لكن العهد كان يدفعنى . كل خطوة على الطريق ، كل حاجز أجتازه ، كل خطر أتغلب عليه كان يقربنى منها ، – منها – منك ! ... كان الألم قد عاودنى من جديد . كنت أشعر بآلام حادة . ومن أثر الجهد الذى كان السير يكلفنى إياه ، كنت غارقا فى العرق . وحينما كانوا يوقفوننى ليطلبوا منى أوراقى ،

كنت أعرى ساقى المتورمة كأننى من جرحى حرب " الفيندية " كنت فى كل مدينة أعلم بتعذيب أحد رفاقى أو بموته . وفى الليل . كنت أنام ، مرتديا ثيابى ، ومسدسان فى جيبى ، وحبات من الأفيون مخبأة فوق جلدى فى قفاز مهلهل . كنت قد صممت ألا ينالونى حيا ! ..
كنت أصحو فى الصباح، أكثر إنهاكا من اليوم السابق . كنت أزيد من سرعتى دائما ، كمثل المطارد الذى يسمع من خلفه ، فى الليل ، وقع الخطوات ترن فوق الأرض التى يكسوها الجليد . كانت أنفاس الموت فى إثرى . كنت أشعر به . كان يتعقّبنى ... ستقولين لى إنه كان يجب أن أفكر أننى أقود إليك هذا الموت ؟ ... لقد فكرت فى ذلك ... إن العاشق الشهم ، بدل أن يعرض للخطر تلك التى يحبها، أحرى به أن يعدل عن رؤيتها . أما أنا ، فلا ! إن حبى أقوى من الاهتمام بحياتك . أن أفقدك ، أن أفقد نفسى ، ليكن ! ... ولكن ليس قبل أن أراك مرة أخرى . أن أراك كما أراك الآن . أن أقول لك إننى أحبك ...

(يتناول يديها ، يتحدث إليها ونفساهما متلاصقان)

صـــــوفـى : **(دون حركة لتخلص نفسها ، كلاهما ثمل)** وبعد ؟

(يصمت كما لو كان لا يدرى شيئا)

(تستطرد)

وبعد ذلك ، ماذا سيحدث لك ؟

فـــاالليــــه : لم أنظر أبعد من ذلك .

(يترك كل منهما يدى صاحبه ويصمتان ، بهما غصة من أثر العاصفة الداخلية ... صوفى تبتعد فجأة ، تنهض ، تستند على ظهر المعزف ، تنتظر ريثما تهدأ دقات قلبها ، فى مواجهتها ، فالليه ، جالسا ، مائلا إلى الأمام يرمق الأرض بنظرة قاسية ينوب فيها العنف ، لم يتحرك)

صـــــوفـى : **(تملك زمام نفسها وتعود إلى فالليه :)** حبيبى . حبيبى الغالى .. إننى أشكرك

فـــالليـــه : **(رافعا رأسه فى غضب)** ليس شكرك الذى أريد

صـــــوفـى : **(بعد وقفة قصيرة)** إننى أرتعد إذ أفكر أنك موجود فى هذه المدينة ، فى هذا المنزل ، حيث يمر أناس كثيرون يمكن أن يتعرفوك

فـــالليـــه : الآن ، ماذا يهمنى ؟

صـــــوفـى : ولكن يهمنى أنا ! لقد جئت إلى هنا تضع نفسك تحت حمايتى . ويجب علىّ، بل أريد أن أنقذك .

فـــالليـــه : ليس هناك من خلاص ، لم يعد على الأرض من ملجأ للإنسان الذى أراد أن يخلص الناس

صـــــوفـى : يجب أن تبلغ الحدود . يجب أن تدخر نفسك لأوقات أفضل . سوف يحتاجون إليك . قضيتك . وطنك

فـــالليـــه : أما أنا فلم تعد بى حاجة إليهم . ليست بى حاجة إلا إليك .

صـــــوفـى : فالليه ، أتوسل إليك ! لا تضح بحياتك ! فلنبحث عن مكان تختبئ فيه ، وطريقة لهربك .

فـــاليـــه : الهرب ! هل تتصورين أننى سأعود إلى الهرب مرة أخرى ؟
هل تعتقدين أن فى الإمكان تكرار المحنة التى مررت بها ؟
تلك الشهور الخمسة من الاحتضار ! إن العقل والقوى
البشرية لا تكفى لذلك . إننا لا نستطيع ذلك بغير عهد
كذلك الذى كان ينير لى وأنا فى طريقى إليك . فما الذى
يمكن أن يشد من عزمى وأنا أبتعد عنك ؟

صـــــوفـى : (**بعاطفة**) أنا !

فـــاليـــه : أنت .

صـــــوفـى : أنا ! ... يا حبيبى !

فـــاليـــه : (**ناهضا**) حبيبك ؟

صـــــوفـى : لن أستطيع الحياة دونك !

فـــاليـــه : تحبيننى إذن ! أنت تحبيننى !

صـــــوفـى : أنت تعلم ذلك ، فلماذا أرغمتنى على أن أقوله لك ؟

: لقد قلته ! أعيديه !

صـــــوفـى : لا يجب ذلك .

فـــاليـــه : بل يجب ذلك . أعيدى ما قلته .

صـــــوفـى : أحبك !

(يتعانقان)

فـــاليـــه : شفتاك ! آه ! أخيرا أرتوى من نبعهما ! ... ابقى !
لا تبتعدى ! لا تنفرى منى ! اغفرى لبؤسى ، لثيابى
الرثة ، ويدىَّ ، وقدمىَّ الموحلتين ، وجسدى الذى يفوح
عرقا وغبارا . إننى أشعر بالخجل ! ...

صــــــوفـى : إننى أحبك ! أحب بؤسك ، أحب حتى غبار يديك ووحل قدميك !

(تنحنى لتقبل يديه وثيابه)

فـــاالليــــه : **(يحتجزها ، يرفع رأسها بيديه ، يغرق عينيه فى عينى صوفى ، التى تستسلم، متعلقة بنظرته . بعد صمت عاطفى :)**

آه ! ما أجمل الحياة ! ... سأعيش الآن . أريد ذلك . لن ينالونى ! إذا كنت قد استطعت ، وأنا وحيد ، أن أخترق عالما من الأعداء . فما الذى لا أقدم عليه الآن وقد حصلت عليك ؟ ...

اسمعى ما سنفعله ! ... من السهل عليك أن تحصلى لى على جواز سفر مزيف ورداء للتنكر ، سترة يعقوبية . ثم آخذ العربة العامة التى توصل من باريس إلى " دول " ، ومن هناك ، أسير على قدمى ، فأنا أعرف الطرق التى توصل إلى الحدود عبر الهضاب المرتفعة . قبل اجتيازها ، سأعثر لبضعة أيام على مأوى فى أحد أكواخ الحطابين . وبعد أسبوع ، تهربين من باريس ، وتأتين لتلحقى بى فى المأوى الذى سأحدده لك . خمس أو ست فراسخ على الأقدام . الطرق يغطيها الجليد . لكنك لا تخشين السير . سنتسلق سويا منحدرات جبال " جورا " ومن فوق القمة سنرى الأرض الحرة ، سويسرا . ساعات قليلة بعد ذلك ونكون قد نجونا .

صـــــوفـى : **(مأخوذة بسيل هذه الإرادة ، ولكن تحاول أن تتمالك نفسها)** نحن ؟ أنا ؟ ... أنا ، أتبعك ؟

فـــاالليـــه : مادمت لى !

صـــــوفـى : **(فى أنين) لا أستطيع** ! لا أستطيع !

فـــاالليـــه : إذا كنت تريدين ، فأنت تستطيعين .

صـــــوفـى : لا أستطيع !

فـــاالليـــه : من يمنعك ؟

صـــــوفـى : واجبى .

فـــاالليـــه : (بمرارة) الواجب ! فى هذا العالم المشئوم ، هذه الكلمة لا تستخدم إلا فى القتل . إنما باسمها راح المنافق الكبير ، حقير ' آراس ، يذبح أنداده ، وراح جبن الأصدقاء يسلم الأصدقاء للجلاد . الواجب ! ما أسوأ ما نستعمل هذه الكلمة الكاذبة ! ... انظرى فى وجهى ! إن الحقيقة الوحيدة هنا فى عيوننا . أنت وأنا .

صـــــوفـى : إننى أرى أيضا زوجى . إنه مسن ، ويحبنى ، ويثق بى . إذا تركته ، أكون مذنبة .

فـــاالليـــه : مذنبة ، لقد كنت كذلك ، إذ تزوجته إنها لجريمة أن تربط الأجساد الشابة بالهرمة . لقد أعطيته اكثر من اللازم . إننى أحقد على أنانيته التى قبلت ذلك. هيا ، لا ترثى له ! إنه يستطيع أن يحيا دونك . أن لديه علمه ، ومجده ، وغروره وصداقة الطغاة . ماذا أنت فى حياته أكثر من ثمرة ، لا يستطيع حتى أن يقطفها ؟

صوفي : لقد وهبت نفسي له ، وهبتها ، بإرادتي . هل بوسعي الآن أن أسترد نفسي دون أن أحتقر نفسي

فالليه : احتقري نفسك ! ففي مثل هذه الساعة ماذا يهم الاحتقار ؟ إن كل ما حولنا يموت ، كل شيء حطام . كل الروابط والقوانين التي كانت تقيم مجتمع الناس، احترام الشقاء ، وحب الخير وطيبة القلب ، كل شيء . وسط الخرائب ، الحب وحده لا يزال يبرق . وكل ما عداه لبل حالك .

صوفي : **(يداها فوق صدرها ، بصوت خفيض ، تحرقها نشوة داخلية)**

يا أيها النور !

فالليه : **(يطوقها بذراعيه)** هل ستتبعينني ؟

(صوفي دون أن تنظر إلى فالليه ، تظل في وضع النشوة ، دون أن تجيب)

فالليه : **(آمرا)** أجيبي ! ستتبعينني

(صوفي تدير ببطء نحو فالليه وجهها الذي يضيئه الحب . يداها المعقودتان تحف أطراف أصابعها شفتاها الفاغرتان ، اللتان تهمان بالكلام . فجأة تخلص نفسها ، وتنصت ، وتقول على الفور :)

صوفي : شخص قادم يصعد السلم

(في عجل ، تدفع فالليه داخل الحجرة التي يفتح بابها إلى اليسار قرب الدرابزين)

المشهد الثالث

(يدخل چيروم دى كورفوازييه من باب السلم ، إلى اليمين. دون أن يرى صوفى ، التى لا تزال عند عتبة باب الحجرة التى دخل فيها فاليه ، يتوجه بخطوات مترنحة ومتعجلة ، ناحية المكتب إلى اليسار . إنه دون قبعة . شعره الرمادى المتطاير غير منظم ، رباط عنقه ذو العقدة الكبيرة معقود بطريقة سيئة ، هيئته ، حركاته ، تعبيره ، تدل على ارتباكه . تنفسه صعب ومختنق . يقول كلاما بلا بقية ، يصدر أنينا . يرتمى فوق أحد الكراسى أمام المكتب يتكئ بمرفقيه وسط الأوراق . يخفى وجهه بيديه)

صوفى : **(مندهشة من مظهره وهيئته)** چيروم !

(لا يتحرك ، ويواصل أنينه بصوت خفيض)

صوفى : **(قلقة ، تذهب نحوه)** صديقى ...

(لا يجيب)

(تضع يدها فوق كتفه ، تسأل باهتمام زائد) ماذا بك ؟

(يرفع رأسه نحوها ، وهو يتنفس بشدة ، ينظر إليها وينهار من جديد)

صـــــوفـى : **(مائلة ، ترفع جبينه بيديها وتقول بعاطفة يشوبها القلق :)**
هل تتـألم ؟ ماذا حدث لك ؟
(چيروم دى كورفوازييه يبذل مجهودا لكى يبتسم لزوجته ويسـتعيد هدوءه ، يفتح فمه ليتكلم . لا يسـتطيع . يقف نصف وقـفـة ويحـاول أن يبلغ بيـده شـيـئـا يوجـد فـوق المنضـدة الصـغيرة القريبة التى توجد فوقـهـا فناجـين القهوة)
صـــــوفـى : ماذا تريد أن أعطيك !
(چيروم يشير إلى زجاجة (قنينة)
صـــــوفـى : **(تعطيه إياها)** هذه الخمر ؟ إنك لا تشرب على الإطلاق !
(چيروم يتناول القنينة ، يصب لنفسه منها كأسـا كاملـة ، يشـربها جرعة واحدة)
چيــــروم : يا إلهى إننى أتردى ، فى هذه الإنسانية ...
صـــــوفـى : أية صدمة استطاعت أن تفل من عزمك ؟ ... يا صديقى ، من أين أنت قادم ؟
چيــــروم : من لجنة الميثاق . -
صـــــوفـى : هل انتهت الجلسة ؟
چيــــروم : كلا . لكننى لم أستطع البقاء حتى النهاية .
صـــــوفـى : ماذا حدث ؟ أى عنف جديد . هل هناك ما يمكن أن يفاجئك ؟ إنك تعرف طباع البشر .
چيــــروم : إنهـم لم يعـودوا بشرا . إنهـم قطيـع من البهائم ، ذليلة متوحشـة . كل غرائز الخسة والوحشـية عارية تماما .

لحم مذبحة . كلاب جبّانة تزحف وتتشمم رائحة الدماء . وسط الحظيرة ، ذئاب وضباع ، تحوم . لقد خلت الحجرة الواسعة تماما . أكثر من مائتين هربوا ، ماتوا ، اختفوا . حزب اليمين أصبح خاويا . إن الذين بقوا أحياء ممن كانوا يشغلونه هربوا من أماكنهم ، وراحوا يتسلقون وهم منبطحون على وجوههم حتى قمة الجبل . حتى أكثرهم حذرا ، كانوا لا يكفون عن تغيير أماكنهم فما من مكان صار آمنا . لأننا لا نعلم على الإطلاق أين ستتجه الضربة ، إلى أعلى أم إلى أسفل ؟ إنهم يحاولون أن يظهروا وكأنهم لا شيء ، وأن يتواروا وراء ستائر النسيان . إن عيونهم التى تتذبذب ، راحت ترصد من تحتهم ، وعن شمالهم ، وعن يمينهم ، انتفاضات القطيع ورمشات الذئاب - وبخاصة جبهة روبيسبير الغامضة وعيناه الصفراوان تحت منظاره القديم ، وجبهة " بيو " المنخفضة وعيناه اللتان يخطهما الاحمرار ، وذلك الجمود فى عينى سان-جوست الزرقاوين فى محجريه ، محجرى الصقر ، سان-جوست ... إنه فوق المنصة . يتأهب للحديث . سكون . ها هو ذا برقبته المشدودة يجيل نظرته الباردة تحلق فوق هذه الظهور التى تنحنى وتحاول أن تتجنبها . إنه يحصيهم : على أيهم يا ترى سينقض ؟ ليس هناك ما يستدعى العجلة . فلديه الوقت . لن يجرؤ أحد على التحرك ... منذ ستة

شـهور تزمجـر فى هذه الحظيرة الأهواء المتناقـضـة كمـا تزمـجـر الأمـواج : الجـيـرونديون والجـبليـون فى فـريقـين متأهبين ، يتناوآن باللفظ والحركة ، والسلاح فى أيديهم ، وفى هذه الملحمة التى يتجلـى فيـهـا رعد المنصات ألفان من الرءوس تزمـجـر . اليـوم هو القـبـر . عندمـا يتـحـدث واحـد من الجـزارين ، فكأنما نسـمع الذئب يحـوم فـوق الجثث . إن كل هـذه الأجسـاد الثابتة ترتعد من الانتظار المهووس . فمـا إن ندخل حظيـرة الماشيـة ، لا يدرى أحد مـاذا سـيـفـعل ، ولا مـاذا سـيـفـعل به . لا أحـد يدرى إذا كـانت حيـاته ستطلب ، ولا حـيـاة من سيـتـحـتم عليـه أن يطلب . مـا إن نجـتـاز العـتـبـة ، **(ولا بد من اجـتـيـازها لأننا لا يمكن أن نهرب ، دون أن ندل على أنفسنا)** حتى نتحول إلى أشخـاص آخرين . فـالزميل ، الصديق ، الذى كان قبل لحظة يشد على يدك ، يصبح غريبا عنك ... ماذا يظن بى ؟ وأنا ، مـاذا أظن بـه ؟ ... إن كـل فـرد يصـبح لغـزا بالنسـبـة للآخـر ... ربما بعـد لحظة ، أراه ينهض ، وعـيناه تتـهددان، وفـمـه يرغى ويزبد ، فيـهـاجـمنى عـاويا ضدى ، مع سرب الكلاب ، ... أو ربمـا أسبقه أنا إلى ذلك ... لأنه تحل لحظة ، أعرف فيهـا أن زميلى سيطلب رأسى، إذا لم أبادر بطلب رأسه ، قبل ذلك ...

(قـام چيروم بهذا السرد ، ويداه ترتعدان ، فى هيـاج مـهـووس . فـى هذه اللحظة يتـوقف ويأتى حـركة ليتناول

من جديد قنينة الخمر . لكن صوفى ، فى عزم وحزم ، تبعد القنينة عن يد زوجها وتجلس بالقرب منه ، وتتحسس ذراعه فى حنان ، وتقول :)

صوفى : لا تنفعل ، هدئ من روعك ! ... أخبرنى بما حدث . إننى أحاول أن أفهم ...

تقول إن سان جوست قد تكلم ؟ هل هناك أحكام جديدة بالنفى ؟ وهل فيها ما يمسك ؟

چيروم : (**يقول نعم برأسه**) أحكام جديدة ، نعم .

صوفى : ولكن ضد من ؟ لقد ضربوا كل أعدائهم . أعداء اليسار ، وأعداء اليمين . إن چيروند التعيسة تختم نهايتها . ومجلس العموم قد تحطم . ولم تمر ثمانية أيام منذ سقطت رءوس هيبير و شوميت و كلو . ماذا بقى لهم لكى يقضوا عليه ؟

چيروم : هم . إنهم يفترسون بعضهم بعضا . فبعد أن صنعوا الفراغ حول الجمهورية ، يقتلون الجمهورية ... هذا الصباح ، فى السادسة ، قبضوا على ...

صوفى : من ؟

چيروم : دانتون .

صوفى : دانتون ؟

چيروم : لم نكن صديقين . لم أكن أحب هذا الرجل . فإن ذلك العنف الذى يرغى ويزبد وذلك السيل المحمل بالأوحال ، وذلك الشيطان المجنون ، المريد ، وتلك الغرائز الوضيعة ،

وذلك الدهاء ، كل ذلك كـان يـوحى إلـى بـالنفـــور والاشمئزاز منه . إن فحيحه كان يخفى وراءه فى أغلب الأحيـان الاضطراب والشك . ولكن من ذا يستطيع أن ينكر الخدمات الهائلة التى أسداها بجرأته العظيمة للجمهورية ؟ ... من منا لم ير وسط الأيام المظلمة ذلك الوجه المخيف يشرئب وسط السحاب يجلله البرق وكأنه روح الثورة نفسها ؟... عندما بلغت المجلس إشاعة الأمر بالقبض عليه . تجمد كل الحاضرين من الذهول . لم يبق واحد لم يشعر بأن هذا الرجل كان مقدسا ، وأنه يخص تراث الأمة الذى لا يمكن انتهاكه. وما أقل الذين لم يشعروا بفضله ! وكم منهم – فى الأيام العصيبة – احتمى به ! قطيع كامل من العملاء كانوا يقتاتون على فتاته . لكن هذه الفئة وقد أصابها الذعر ، راحت تهمس ، ثم تلوذ بالصمت ، وقد لذت بالصمت مثلهم ...

وأخيرا ، فإن أحد أفراد حزبه ، وكان معروفا من الجميع بأنه ممن يدورون فى فلك النجم الذى هوى ، وقد شعر بأنه يتردى فى الهاوية ، حاول بطريقة لا إرادية أن يقوم بحركة من أجل الحفاظ عليه . هذا الشخص هو لوجندر ، وهو رجل سوقى ، كان ، فى ظل " دانتون " ، يتألق معه ... لقد منحه الخوف قوة، فصاح عاليا ، وطالب مزمجرا ، لكى يتشجع ، بحرية دانتون . وما إن اطمأن أغلب الحاضرين لهذه الصرخة المنبثقة من الصمت ، حتى

بدءوا يساندونه بطنينهم . وذهبت الجرأة ببعضهم فجعلوا يصفقون . بضع دقائق أخرى ، وكان من الجائز أن تجد اللجنة الشجاعة الكافية لكى لا تسلم باغتيال نفسها ... وفجأة دخل " روبسبيير " . فتجمد هدير القلوب فى الحال . وعلى طول طريقه راحت الفكرة تتعجل الارتداد والدخول تحت الوجوه . ومن جديد أحدق الصمت بالرجل الذى كان يتحدث . ورأى " لوجوندر " " روبسبير " .

وساعده اندفاعه ، لحظة أخرى ، على إطلاق الصيحات التى راحت تقع فى الفراغ . ثم ، فقد اتزانه ، وتوقف ، واستأنف ، وتلعثم ، ووسط إحدى الجمل ضرب بقبضته فوق المنصة ، وتوقف وغاص . وفى بطء راح " روبسبيير" يصعد من السلم الآخر . ودون أن يهتم بالرد على عواء البهيمة المذعورة التى كانت فى ذلك الوقت تسعى إلى الدخول فى ثنايا النسيان ، راح يقرأ بصوته الخالى من النبرات ، أمر القبض الذى أصدرته فى الليلة السابقة اللجان الثلاث. وجعل يتحدث بألفاظ جوفاء عن مكيدة كبرى . وهنأ "مجلس الشيوخ الذى استطاع أن ينتزع من داخله جميع الأعضاء غير الأكفاء الذين خانوا القضية ..." وعلى حين بغتة ، أصبح صوته مهددا ، والتفت ناحية " لوجوندر " الذى كان منزويا وراء شخص آخر ، وراح ، وهو يتظاهر بأنه لا يراه ، يهاجم المتآمرين المختفين الذين يدفعون عن الخونة سيف

القانون . فطلب "لوجوندر" ، وهو يتلعثم ، أن يرد . ولكن الآخر ، دون أن يتأثر ، تظاهر بأنه لم يسمعه وانتهى من عرض جمله المطننة الموزونة التى تتردد فيها كلمة الموت ، ثم انصرف تاركا البلطة المطوقة بالغار معلقة على رءوس أعضاء المجلس ...

كان الصمت يزداد عمقا أشبه بالهوة السحيقة . ومن الأعماق ، ارتفع مرة أخرى عواء " لوجوندر " نابحا على الموت . ولكن هذه المرة ، لم يعد لدى الكلب سوى فكرة واحدة . أن ينبطح ويجثو تحت السوط وينال العفو بلعق القدم التى كانت تركله . اعتذر والغصة تملأ صدره متعللا بأنه لم يكن يدرى ، ولم يكن يعرف ... ، دافعا باستعداده لأن يسلم صديقه أو شقيقه إذا كانا جانيين ، متنكرا للرجل المغلوب مستشهدا بجبن المجلس على نكرانه الخسيس ... حدث ذلك ودون أن يجرؤ واحد فقط على أن يبسط له يده أو تنفجر أسارير الرجل الغامض بتهديده الصامت ، وهو يتأمل الشقى الذى كان يغوص ويغرق ...

واختفى الرجل . فقد غطاه سماط من الازدراء والخوف . وعندئذ ، راح واحد من حزب المونتانى ، باسم المجلس ، يهنئ اللجان التى أحبطت بيقظها المؤامرات الجديدة . ومن جهات مختلفة فى القاعة ، انضمت إليه بعض الأصوات تؤيده . لكن "روبسبيير" ، الذى يعلم تقلب

المجالس ، لم يكتف بهذه الأصوات التى لم تصدر عن العقول . بل أراد أن تصدر اللجنة حكمها عن طريق الاقتراع بالاسم ، وأن تقر محاكمة "دانتون" – أى القضاء عليه ، لأن الحكم كان قد صدر مقدما .

صوفى : واقترعت أنت !

چيروم : راحوا جميعا يقترعون . كلهم كانوا يسرعون إلى المنصة ، تحت أعين أصحاب الأمر . بعضهم بظهور مستديرة ، وبصوت غير مطمئن . أما الأغلبية فقد تظاهرت بالصلابة الرومانية ، وجعل صوتها يجلجل فى القاعة ، بينما الرعب يصيح فى أحشائهم . واقترع "لوجوندر" . باع يده . كنا خمسة أو ستة ننظر فى ألم . كان كل منا ينتظر دوره فى الاقتراع . وعندما كان يأتى دور أحدنا ، كان ينهض ويذهب ، يذهب ليلقى بصوته ، يلقى بحجره على المهزوم .

صوفى : وأنت ألقيته !

چيروم : عندما حان دورى ، نهضت وانصرفت .

صوفى : لم تقترع ! ...

چيروم : كنت قريبا من باب الخروج. نادوا باسمى . وكرر شخص خلفى قائلا ، وهو يمس كتفى : " كورفوازييه ! " ... وكان هناك رجل (**من كان يا ترى ؟**) يقف أمام الباب . فنحّيته عن العتبة ، وخرجت من القاعة . وعندما بلغت الشارع ، أصابنى دوار ، وكدت أسقط . وأقبل علىَّ عابر رآنى

أترنح ، فأخذني من ذراعي وصحبني إلى مقهى ، وسقاني مشروبا منعشا . استجمعت قواى كى لا يتفرج على الناس ، وعدت إلى المنزل ... كنت أتمنى أن أرقد فوق الأرض، فى التراب وألا أنهض بعد ذلك ... تقززا ، تقززا من الناس ومن نفسى . إنسانية ، حق ، حرية ... يا لها من سخرية ! سخرية عهدى وإيمانى . لقد ولد الإنسان لكى يستعبد . لقد ولد الإنسان لكى يخون . إن كل ما نفعله لتحريره ، كل ما نحاول من أجل إنهاضه ، لا يجدى إلا فى إظهار حيوانيته . ماذا صنعت ؟ لقد فقدت حياتى ! ...

(يسقط من جديد فوق المنضدة ، رأسه بين يديه)

صـــــوفـى : **(التى أنصتت إليه بانقباض وشفقة متزايدة)** الرجل المسكين ! الرجل المسكين !

(تميل عليه تأخذ بيده) چيروم ، أى صديقى ! ... زوجى العزيز ! ... لا تستسلم ! إننى أفهمك ، وأرثى لك . إن ما قاسيته أنت أقاسيه معك ... ولكننى لا أريد لد أن تفقد إيمانك ... إيماننا ...

چيـــــروم : **(يرفع رأسه ، بلهجة شك :)** إيماننا ؟

صـــــوفـى : إنه إيمانى أنا أيضا . - لا شك أن الناس منحطون ، متوحشون ، منافقون ... وا أسفاه ! إننا ندرك تماما كم نحمل فى ذواتنا من وحوش ، من أفكار وضيعة لا نجرؤ على ذكرها ، وتحط كرامتنا ° ولكن لأننا كنا نعلم

ذلك ، قمنا بهذه الثورة ، من أجل تحرير الناس ومن أجل رفعتهم . إننا لم نحاول أن نخفف عن أنفسنا لا المصاعب ولا الأخطار . ربما كل خطئنا أننا اعتقدنا قبل الآوان أننا كسبنا المعركة . ولكن فى تلك الأيام الأولى من التحرير ، كان جميلا أن نستسلم لمعانقة كل من فى فرنسا . هل لنا أن نأسف على ذلك ؟ كان لا يمكن أن يستمر ذلك . ولكن من ذا الذى لم يحسدنا ، من ذا الذى لن يحسدنا لأننا عرفنا هذه السعادة ، مرة فى حياتنا ؟ لقد قطفنا زهرتها . والزهرة ذوت. إن البهجة التى تمتعنا بها لحظة ، دفعنا ثمنها بعد ذلك . أمر شاق . ولكن كان لابد من ذلك . أنت ، يا من تعلمت فى خلال ممارستك للعلم ، الاعتراف بقوانين الطبيعة الثابتة التى لا تتحول ، أهذا سبب يجعلك تشك أو تتخلى عن موقفك ؟ لقد أتيحت لك القوة لكى تصعد عاليا لتحتضن فى نظرة واسعة الأرض وراء الجبال والنهر الذى يتعرج والذى يمثل تقدم الفكر الإنسانى . ولم تتصور يوما من الأيام ، أنه لكى يواصل مجراه ، تكفى لذلك بضع سنوات . بل كنت تتوقع قرونا مع أكثر من توقف وعودة إلى الوراء . كلا ، إننا لن نرى ، بأعيننا ، أرض الميعاد . ولكن ، أليس كثيرا أن نعرف مكانها وأن ندل على طريقها ؟ سوف يأتى آخرون ، أكثر شبابا ، فيواصلون السباق المقطوع . أما نحن ، المقيدين بالعصر الحاضر ، فلنجد

فيهم عزاءنا . يا صديقى ، فى مقابل المشهد الرهيب الذى يخنقك ، تبقى لك فى ذاتك ملاجئ كثيرة تستطيع أن تجد فيها عزاءك ! مجهودك الشخصى ، وأبحاثك واكتشفاتك ، مملكة العلم هذه ، التى هى بمنأى عن نزقات الناس وشرورهم ، والتى ستحررهم ، شاءوا ذلك أو لم يشاءوا ...

چيـــــروم : **(انتصب واقفا شيئا فشيئا ، يداه فى يدى زوجته ، لا يحول عنها عينيه)**

آه ! شىء مريح ! ... من فمك ، هذه الأفكار ... هذا الإيمان ، إيمانى ! إيمانى المفقود ، الذى يعود إلى عن طريقك ... زوجتى ! ... إذن فأنت تحبيننى ؟ ... كنت أظن عكس ذلك ! ...

(يقبل يديها)

(صوفى ، مضطربة ، تحول رأسها ، بينما زوجها مائل على يديها)

چيـــــروم : **(يرفع عينيه نحوها ، يتوسمها بعرفان ويترقب الإجابة بانكسار :)**

صوفى ، هل تشعرين نحوى حقا بشىء من الحب ؟

صـــــوف : **(محاولة الهرب)** آه ! انتابتنى رعدة قبل برهة ، خلال حديثك ... كنت أخشى ... كنت أخشى ...

چيـــــروم : **(بابتسامة حزينة)** كنت تخشين جبنى ؟

صـــــوفى : كلا ، لا تقل هذه الكلمة !

چيـــــروم : أولم أظهره بما فيه الكفاية ؟

صـــــوفى : لقد رفضت أن تتردى فى خزى الآخرين .

چيـــــروم : آه ، كـان ينبـغى أن أتكلم . لقـد هربت . إننى رجل ضعيف ، لا يملك سوى شجاعة ضعيفة لا تجدى ...

(فاليه يظهر عند عتبة الحجرة ودون أن يلحظاه ، ينظر إليهما فى غيرة وحقد . عندما تتحول عيونهما آليا ناحيته ، يتراجع إلى داخل الحجرة)

صـــــوفى : **(فى ود صادق)** إنك لرجل بائس ، ضعيف ، ومن أجل ذلك ...

(تتوقف عن اندفاعها)

چيـــــروم : **(يسحبها من يديها اللتين لم يتركهما)** ومن أجل ذلك ؟ ...

(لا تجيب فيلح)

ومن أجل ذلك ؟... قولى !... تشعرين نحوى بشىء من ... من العطف .

صـــــوفى : **(محرجة ، تفر ثانية)** وذلك ، يا صديقى ، لأنك ضعيف فإن قيمتك ترتفع إذ تخاطر بحياتك . لأنك خاطرت بها . لا تحقر من شأن نفسك ، بالحديث عن الهرب .

چيـــــروم : هذا صحيح . وإننى أعلم أنهم سيطالبوننى بالحساب . فمنذ شهرين مضيا وأنا موضع شك . جميع خطواتى يراقبونها ، وكل أقوالى يسجلونها ، حتى حالات صمتى . إن الوشاة يرصدوننى . إن منهم أصدقاء لنا . ولقد استطعت اليوم بالذات **(وكنت أنتظر حتى أتأكد لكى أخبرك بشكوكى فيه)** استطعت أن أحصل على أدلة بأن العجوز دينى بايو ...

صـــــوفـى : **(مذعورة)** يا إلهى !

چيـــــروم : كل ما نقوله هنا ، ينقله ...

صـــــوفـى : كـلا ، لا أسـتطيع أن أصـدق ذلك ! ذلك الكهل ... ذلك الرجل الرقيق الهياب ... وما الدافع ؟

چيـــــروم : **(وهو يهز كتفيه)** ليشـترى سلامته ... ثم ، فى عصـر كعصرنا ، فإن الخسـة تنتشر كالبرص ، فنحن نرى من كرام الناس من يشعرون على حـين بغتـة بحاجتهم إلى الهبوط والتلوث ...

صـــــوفـى : **(وهى فريسة الرعب)** چيروم ! لقد كان هنا ! ...

چيـــــروم : من ؟ بايو ؟ اليوم ؟

(تشير نعم برأسها ،لا يسمح لها تأثرها البالغ بالكلام)

چيـــــروم : ماذا تخشين ، يا صوفى ؟ إننى أعرف حذرك ...

صـــــوفـى : ... كان هنا ، حينما دخل ...

چيـــــروم : حينما دخل ؟...

صـــــوفـى : محكوم عليه ، يبحث عن مأوى ... فالليه ...

چيـــــروم : **(فى صيحة دهشة وفرح)** فالليه ! ... حى ! جاء هنا ! ... صوفى ، هل استقبلته ؟ ألم تغلقى فى وجهه بابنا ؟ أين هو ؟

صـــــوفـى : ها هو ذا !

(تشير إلى فالليه ، الذى جاء إلى عتبة الباب حين سماع اسمه . ولكى تخـفى اضطرابهـا ، تخـرج من باب السلم ، تاركـة الرجلين وحدهما ، كما لو كانت تريد أن تراقب المدخل)

المشهد الرابع

چيـــــروم : **(يتقدم ناحية فاليه ، باسطا له ذراعيه)** صديقى !
(فاليه لا يتحرك . بعد توقف قصير ، چيروم يواصل التقدم نحوه)
استطعت أن تهرب ! ... كانوا يقولون ... الحمد لله ! ...
(وصل قرب فاليه ، يريد أن يعانقه ، ولكن فاليه يستدير عائدا إلى حجرة الاستقبال ، يقف على بعد مسافة)

فـــاليـــه : **(بسخرية باردة)** فلندع الله وشئونه ! إنه لا يهتم بشئوننا ! إن الله مع روبسبيير .

چيـــــروم : **(وقد توقف فى اندفاعه العاطفى ، يستطرد بعد صمته)**
فاليه ! إننى أراك من جديد ! ... وسط الهموم والأحزان السوداء التى تجتاحنى اليوم ، يلوح لى أن شعاعا من الشمس دخل معك ...
(يتقدم من جديد بضع خطوات ناحية فاليه وفى هذه المرة يمد إليه يده التى لا يتناولها فاليه)

فـــاليـــه : **(باللهجة الساخرة الجامدة نفسها)** لا تقترب ! فقد تحترق !

چيـــــروم : (**مأخوذا ، يتراجع خطوة**) فالليه ! أى صديقى ! ... ماذا بك ؟ ... ألا تريد أن تصافح يدى ؟ ... هل تشك فى أمرى ؟ ... إن منزلى لك . وأنا أشكرك لأنك اخترته مأوى لك . هل تشك فى صداقتى ؟ لقد ظلت وفية لك .

فـــالليــــه : (**بمرارة**) إننى أعرف هذه الصداقات التى سلمَنا وفاؤها قبل عام إلى القتلة .

چيـــــروم : (**محزونا**) فالليه ، الواقع أننى قمت بالقليل جدا ، من أجل الدفاع عنكم ؛ ولكن (**إننى لا أعتذر ، أدنٌى إذا شئت !**) ولكنك لا تعمل حسابا لهذا الجو ، مستشفى المجاذيب ، الذى نعيش فيه سجناء ، واستحالة كلمة عقل فيه . إنه وباء . وإن أسلم العقول لتصاب به شيئا فشيئا . أربع سنوات من التوتر البالغ ، من الخطب الجنونية ، من الكتابات المحمومة ، من الرعب ، من الشكوك ومن الآلام التى تشبه آلام المسيح وخيبة الآمال المريرة ، كل ذلك خلق جوا مشحونا بالسموم . إن التهديد بالموت يفسد كل تفكير . والإنسان لا يستطيع دون خطر أن يظل سنوات فوق حد السيف هذا : " الانتصار أو الموت " . إنه يضرج بالدم ويتمزق غيظا . ومن يحاول إعادته إلى المشاعر الإنسانية ، تمزقه أسنان هذه النمور ... وا أسفاه ، إنهم أصدقاؤك ، يا فالليه ، أعضاء حزبك ، وأنت معهم ، الذين كنتم – بإعلانكم الحرب ضد أوروبا

وإلقـاء الدولـة فـى الصــراعــات الوطنيــة – أول من آثار الهياج والثوره والغضب الذى راح يلتهمكم .

فــــاليـــه : (**جارحا**) لقد رفضنا التحالف مع الجريمة . أما غيرنا فقد تواطأ معها إبقاءً على حياته .

چيــــــروم : (**مجروحا ، لكن مالكا زمـام نفسه**) فـوق حـياتنا ، توجـد منجــزات حـيـاتنا : ثورتنا الشـابة . وأعـداؤها كثيرون ! فعلينا ألا نضيف إليهم أحقادنا ! يجب علينا أن نضحى فى سبيلها بكل عواطفنا .

فــــاليـــه : (**بلهجة مهينة**) إن التضحية لا تكلف شيئا أولئك الذين ليست لهم عواطف ، وليس لهم سوى مصالح .

چيــــــروم : (**الذى لا يريد أن يفهم**) إننا لا نتحدث عن هذه الفئـة . فلندع النفوس الوضيعة! إن ما بيننا ، أنت وأنا ،لا يمكن أن يكون سوى ما بين الذين يعيشون من أجل الأفكار .

فــــاليـــه : هناك من يموتون من أجلها ، وهناك من يعيشـون على حسابها .

چيــــــروم : (**يصيح**) فـاليه ! ... مـاذا تريد أن تقـول ؟ ... وأخيـرا ، ماذا بك ؟ ... كأنك ناقم علىَّ ؟

فــــاليـــه : (**بعد لحظة ، بحقد**) أجل !

چيــــــروم : (**محزونا**) فى هذه الساعة ، التى تتهدد فيها الأخطار حيـاتك فى كل مكـان، فى باريـس الحـافـلة بأعـدائك ، ألا يجدر بك أن تقدم العرفان لرجل يحبك ، لا يشاركك أراءك ، ويحترمها ويود أن ينقذك ؟

فـــاليــــه : **(باحتداد)** لا ، إننى لا أقدم العرفان ! إن حبك كذب ! أنك لا تحب إلا نفسك. وخلاصك أعمالك الحذرة وحيادك . لعنة الله على الطغاة الذين يقتلون فرنسا ! وسحقا للمحايدين ! ...ألا فاعلم أننى أبغض "روبسبيير" ، ذلك الوحش ، ذلك الطاغية المستبد ، جلاد الجمهورية الذى باع نفسه للنمسا . إننى أتمنى أن تجىء "شارلوك كوردى" أخرى تغتاله عندئذ أقبل الخنجر الذى ينزع قلبه من صدره. ولكن حقدى هذا ليس أقل من حقدى على أهل الحذر والحيطة ، الذين يلزمون الصمت . يلعبون بالجريمة والفضيلة فى مثل هذا الصراع الرهيب، لا يكترثون بشىء ولا يهتمون إلا بدورهم الذى يشبه دور رقاص الساعة ، مستعدين دائما لخدمة هذا على حساب ذلك وخيانته فى اليوم التالى ! ...

چيــــــروم : **(متمالكا نفسه ، بالغ الهدوء ، مع ارتجاف فى الأعماق)** فاليه ، هذا الكلام لا يوجه إلى مثلى .

فـــاليــــه : **(ثائرا)** بل إليك !

چيــــــروم : **(مذعورا ، يظل لحظة دون أن يجيب)** ولكن إذا كنت تبغضنى إلى هذا الحد، فلماذا جئت فى منزلى تبحث لك عن مأوى ؟

(فـاليـه لا يجـيب ، ولكن نظرته تذهب من فـوق كـورفـوازييـه ناحـية باب السلم الذى يفـتح من جـديد : صـوفى تعود ، يتـعلق بها بواسطة إشـعـاع عـاطفى . چيروم يلاحظ التغير المفاجئ فى تعبير وجهه . وعندما يلتفت ليبحث عن سببه، يرى زوجته مقبلة نحوه)

المشهد الخامس

صـــــوفـى : **(فريسة لانفعال حاد ، أغلقت الباب وتسرع ناحية چيروم)**
إنهم قادمون !إنهم قادمون ! ... چيروم ! ... لقد ضاع ! ...
(چيروم يلاحظ عينى فالليه ، الذى لا يبدو عليه أى تأثر لكلام صوفى ، والذى لا يخفى ابتهاجه إذ رآها . ثم يلتفت ناحية صوفى ويفحص اضطرابها. ويصرفه ذلك عن الاهتمام بمعنى ما تقول)

صـــــوفـى : **(تجذب ذراعه)** أسرع ! أسرع ! يا چيروم ! ... ألا تسمعنى ؟

چيـــــروم : من القادم ؟ ماذا رأيت ؟

صـــــوفـى : الشارع مقلوب . فرق من الرجال المسلحين يذهبون من منزل إلى آخر . وبابنا عليه حرس ... تعال ، انظر !
(تقود چيروم إلى النافذة اليمنى التى تحجبها ستائر سميكة . ترفع جانبا من الستار فيميل چيروم لكى يرى . فالليه يتبعهما ولكنه لا ينظر إلا إلى صوفى)

چيـــــروم : يقومون فى الحى بزيارات للمنازل .

صـــــوفـى : هل تعتقد أن هذا الرجل قد أبلغ عنا ؟

چيــــــروم : من ؟ دينى بايو ؟ ... كلا ... على الأقل ، ليس بعد . إن الأمر فى هذه الساعة يتعلق بإجراء عام ، لا يخصنا نحن فقط ... انظرى إلى هذه الفرقة التى تدخل المنزل المواجه ... هذا بالطبع أمر تفتيش نظامى ، أصدرته لجنة مراقبة القسم ... جميع المنازل تفتش . ولكن قد يحدث ، بعد حوادث اليوم ، أن يفتش منزلنا بنوع خاص .

صــــــوفى : (**مضطربة**) اهرب ، يا كلود !

چيــــــروم : كلود ؟ ... آه ! أجل ، فاليه ... الهرب مستحيل ... انظرى فى آخر الشارع ، إن الحاجز مقفل ، موظف واقف هناك . لا أحد يستطيع الخروج قبل أن يتم التفتيش ... إنهم يقومون بالتفتيش صفا صفا . بعد المنزل المواجه ، يأتى دور منزلنا . أمامنا ربع ساعة .

صــــــوفى : (**تفقد شيئا فشيئا السيطرة على نفسها**) چيروم ، يجب إنقاذه !

چيــــــروم : (**لا يزال هادئا**) عزيزتى . إن حياتنا جميعا مهددة أيضا .

صــــــوفى : (**متحمسة**) ولكن هو ، إذا وجدوه فقد هلك !

چيــــــروم : ليس وضعك أحسن من وضعه ، إذا وجدوه هنا .

صــــــوفى : (**مدفوعة بعاطفتها**) إننى لا أهتم بحياتى ، بشرط أن أنقذ حياته .

فــــاليـــه : (**عيناه مشعتان**) لم أعد أخشى شيئا ، الآن وقد بلغت هدفى .

صـــــوفـى : كلا ، الهدف هو أن تعيش . **لا** أريد أن تموت !

فـــاليـــه : نحيا أو نموت معا !

صـــــوفـى : (**بعاطفة**) نحيا ! ...

فـــاليـــه : (**يفيض سرورا**) سنحيا ! ...

(لقد نسيا كل شيء ، كل ما حولهما ، الخطر و چيروم الذى يتأملهما ، وكلاهما ، يده فى يد الآخر وعيناه فى عينيه)

چيـــــروم : (**بعد صمت ، ببرود بالغ**) إن الدقائق معدودة وإذا أردتما الحياة فلا تفقدا الوقت ، ولو أننى أرى أنكما تستفيدان كثيرا من الوقت .

(عند سماع هذه الكلمات ، تفيق صوفى ، تترك يد فاليه الذى يتراجع من ناحيته وتلتفت ناحية چيروم – لكن دون أن تجرؤ على النظر إليه مواجهة – عيناها مليئتان بالاضطراب)

صوفى ، أنت تعلمين أن فى نهاية هذه الحجرة (**يشير إلى الحجرة اليسرى قرب الدرابزين**) داخل جدار القبو ، فى الخلوة الخشبية التى صنعتها بنفسى لأضع فيها الوثائق التى لا يخلو وقوعها فى جميع الأيدى من خطر . يوجد مكان لإنسان وهو متمدد . أدخلى فيه فاليه ، وأغلقى عليه الجدار بعناية ، والغطاء . إذا اقتصر التفتيش – كما هى العادة – على مجرد زيارة عامة للقسم ، فسيمرون فقط ، وتكون لدينا فرصة للهرب .

صــــــوفـى : تعال ! فلنسرع يا فالليه !

چيـــــــروم : انتظرا ! ... يجب أن نتوقع كل شيء . إذا كان التفتيش بأمر صادر من لجنة الأمن ، وإذا كان ذلك الرجل - بايو هذا - قد أبلغ عنا ، فلا ركن ، ولا جدار سيترك بلا تفتيش . عندئذ لا شيء يمكن عمله . شيء واحد يبقى أمامنا ... خذا .

(من ثنية في رباط عنقه العريض ، يخرج كيسا صغيرا يفتحه ويقسّم ما فيه) هذا السم أكيد المفعول . لقد أتانى من " كابانى " ... هذا نصيبك يا فالليه وهذا نصيبك يا صوفى ... وأنا أحتفظ بنصيبى ... اذهبا !

(صوفى متأثرة ، فالليه مضطرب ، كلاهما نهب لعواطف متناقضة ، ينظران إلى چيروم الذى لا ينظر إليهما ويذهب ناحية النافذة . يخرجان من باب الحجرة ، إلى اليسار قرب الدرابزين)

المشهد السادس

(چيروم دى كورفوازييه يلتفت ، ثم ، وعيناه مثبتتان على الباب الذى خرجا منه ، يعود ببطء إلى وسط المسرح)

چيـــــروم : **(بسخرية مريرة)** إنهما عاشقان . إلى أى هياج عنيف دفعت الغيرة وقرب الموت بأعز أصدقائى ! إنه قد لا يتردد فى قتلى لكى يسلبنى زوجتى ... أما هى ،التى كنت قبل برهة وجيزة أفضى إليها بشقائى ، فقد كانت شريكته فى الجرم ، وربما كانت تنذر النذور من أجل موتى ... ولم لا ؟ إننى العقبة التى تقف فى طريق هنائهما ! إيه حسن ، فلتطب نفساهما ! لن أظل طويلا أمثل هذه العقبة ... إننى لا أحب أن أرغم على احتجاز شخص للبقاء معى وهو يتوق إلى التخلص منى . كذلك لم أعد أحب أن أستمر مقيدا إلى هذه البشرية الوضيعة ... الوضيعة ؟ كلا السخيفة . إنها حتى لا تستحق الاحتقار ... كائن واحد كان لا يزال يمنحنى سببا للإيمان بها . ولقد انتزعها منى ... حسن ... إذا كان هذان التعيسان لا يزالان يجدان لذة فى الحياة ، فهنيئا لهما ! أما أنا ، فإننى أهب حياتى ...

(يذهب إلى مكتبه ، ومن مجلد كبير ، يسحب مخطوطات مخبأة تحت الغلاف الجلدى)

فى هذه الأوراق التى تدينهم سيعثر الجلادون على قرار إدانتى جاهزًا .

(يضع المخطوطات ظاهرة فوق المنضدة ، وسط حجرة الاستقبال)

(ثم يعود إلى النافذة المطلة على الشارع وينظر إلى الخارج)

يخرجون من المنزل الآخر ... يعبرون الشارع ... يدخلون ... وأنا مستعد .

المشـهد السـابع

(تسمع مجموعة من الرجال تصعد السلم فى ثقل . طرقات عنيفة على الباب.

چيروم ، دون عجلة ، يذهب ليفتح . يدخل مندوب وعشرة رجال مسلحين .

ملابس المندوب : " بنطلون واسع من الصوف الأسود ، سترة قصيرة مثله ، صديرية ذات ثلاثة ألوان ، باروكة يعقوبية ذات شعر قصير أسود مرسل ، قبعة حمراء ، سيف ، شاريان ضخمان "

" الرجال ليس عليهم سوى قطع من هذا الزى . كثيرون منهم دون سترة ولا صديرية ، يلبسون الصنادل ، يتسلحون بالحراب)

كــــرابـار : لجنة الأمن ! ...

چيـــروم : تفضلوا !... أهذا أنت ، أيها المواطن كرابار ؟

كــــرابـار : **(منذ البداية ، يبدى عداءه)** لم تكن تتوقع ذلك ؟

چيـــروم : **(بهدوء وازدراء)** إننى أتوقع كل شىء .

كــــرابـار : **(ساخرا ومهددا)** أترى ، كيف نتلاقى ، هيه ؟

چيـــــروم : (**بهدوء وازدراء**) خاصة حينما يكون أحدنا (**ليس أنا !**) يبحث عن الآخر.

كـــــرابـار : لم تخطئ أبدا ... ولكننى لم آت لكى أجـفف حلقى فى الكلام .

هل رأسك مثبت جيدا ؟

چيـــــروم : عليك أنت أن تتأكد من ذلك !

كـــــرابـار : (**مخاطبا الآخرين**) هيا (**يصفر وكأنه يصفر لكلاب**)

ابحث ! ابحث !

انهب !

چيـــــروم : هذه هى الكلمة . لقد قلتها بالضبط .

كـــــرابـار : ... الذى يضحك فى النهاية هو الرابح .

(الرجـال يبدءون فى تفـتيش الأثاث بغلظة ، ينزعـون الأدراج ، يقلبـونهـا رأسا على عـقب فـوق الأرضـيـة ، ينثرون الأوراق . على الصوت ، صوفى تقبل من الحجرة المجـاورة . تقـتـرب من چيـروم الذى يقف ثابتـا وسط الحجرة ، موليا ظهره للمقتحمين)

چيـــــروم : (**دون أن يتحرك ، ودون أن يفتح فمه تقريبا**) خلاص ؟

صـــــوفـى : (**تشـيـر برأسـهـا ، نعم ، دون أن تتكلم . ثم ، بصـوت خفيض**)

هل هناك أمل ؟

چيـــــروم : (**بصوت خفيض**) أبدا .

صـــــوفـى : (**بصوت خفيض**) من هذا ؟

چيـــــروم : **(بصوت خفيض)** كرابار . أفّاق أمرت بالقبض عليه ، قبل عامين ، في الحي العربي ، بوصفه بائع فضة .

كـــــرابـار : **(مخاطبا أحد الرجال)** تيموليون ، نظف المدفأة !

(الرجل يغرس حربته داخل المدفأة ويحركها بقوة)

قليل من القش المبلل ! ... " دوسـان " ، أشعل هنا ، فإذا كان الثعلب بالداخل فسنسمع سعاله !

صـــــوفي : **(بصوت خفيض إلى چيروم)** هل يعرفون ؟

(چيروم يهز كتفيه)

كـــــرابـار : **(مخاطبا رجاله)** فتشوا ! فتشوا !

چيـــــروم : **(مخاطبا كرابار)** ارحم على الأقل هذه التحف الفنية الهشة !

(أحد الرجال بعد أن سبر أغوار الجدران بحربته ، يغرسها في إحدى اللوحات الكبيرة)

(صوفي تطلق صرخة)

كـــــرابـار : **(يهرول ناحية الرجل)** ها ! ها ! ... اغرسها مرة أخرى ! ...

(الرجل يغرس حربته في اللوحة من جديد)

هل تشعر بشيء ، خلفها ؟ ... أبدا ...

(يلتفت إلى صوفي)

لماذا صرخت ؟

صوفي **(تتأمله بازدراء)**

كـــــرابـار : **(هائجا)** لا تتفضلين بالرد علي ؟ ... إنها تنظر إليك كالكلب ... أعوذ بالله!

... أيتها المواطنة ، سنرى إذا كنت تخفين شيئا تحت لوحتك ... ليس هذه ... بل جلدك ... سنبحث بداخلك عن البراغيث ...
(چيروم يأتى حركة ليدفع كرابار . كرابار ينحيه . يدفعه)
أما أنت ، أيها العجوز . فالزم مكانك ! ... انتظر حتى يحين دورك . إن لدى أمرا بتفتيش كل شىء ... وإننى أفتش ... ولكننا ندرك واجبنا بالنسبة لعفة الجنس الآخر ... لسنا نحن أيتها المواطنة ، الذين سننقب بين مفاتنك ... "بودان " ! **(يصيح)** ... أين تلك المرأة ؟ ... بودان !
(تظهر عند باب السلم ، بودان ، فتاة مسدلة الشعر، ذات وجه متودج وصدر ضخم)
هل كنت منهمكة فى إغراء شاب من المغرورين ؟ إياك أن أضبطك ! ... تقدمى ! اصطحبى هذه الكتكوتة إلى الحجرة المجاورة وانظرى إذا كان هناك مهاجر تحت قميصها !
(يضحكون . صوفى تأتى حركة تمرد ، ولكنها تلقى نظرة على باب الحجرة التى أغلقتها دون فاليه ، وتذهب إلى الحجرة الأخرى ، قرب الحديقة ، تتبعها بودان)
چيـــــروم : **(يحدث نفسه)** آه ! كالعادة ، سيبحثون فى كل الأماكن التى لا يوجد فيها شىء يمكن العثور عليه ، ولكن يجب إرغامهم على النظر إلى ما تحت أعينهم . **(يقترب من المنضدة التى فى وسط الحجرة ، حيث لا تزال ظاهرة**

للعيان الأوراق التى تركها دون أن يفكر أحد الرجال فى النظر إليها . يتصرف بطريقة تجذب انتباه كرابار فيجذب الأوراق ، كما لو كان يريد أن يخفيها)

كـــــرابـار : **(منقضا عليه)** مكانك ! ... ناولنى هذا ! ناولنى هذا ! ...

(ينتزع منه الأوراق ، يتصفحها بسرعة ويقرأ :)

" بحث فى العبودية " ... الجمهورية المستعبدة " ...

إننى أحتفظ بذلك !

(يلوّح له بالأوراق تحت أنفه)

لابد وأنه يخفى غيرها ... " تافتا " أمسك يديه ! " فاشار " أخرج ما فى جيوبه !

(رجل يمسك بقبضة چيروم ، وهما خلفه ، بينما الآخر يفتشه ، تحت نظر كرابار)

كـــــرابـار : رأسك فى يدى ، رأس الخنزير !

چيـــــروم : **(بازدراء غير مكترث)** كله !

(يدخل لازار كـارنو فى ثيـاب عضـو من لجنة الخـلاص العامة . طويل ، ذو عينين زرقاوين ، جبهة عريضة ، كثيف الحاجبين ، خشن ، متغطرس ، متهكم)

المشهد الثامن

كـــــــارنـو : **(يتوقف لحظة عند العتبة ، ينظر بدهشة ، يتبين الأمر ، ويصيح بصوت مدو :)** أيها الأغبياء ، ماذا تفعلون هنا ؟

(الرجال يلتفتون ناحية الباب)

الرجـــــال : كارنو ! ... كارنو عضو اللجنة العليا !

كـــــــارنـو : **(بخطى واسعة أقبل ناحية كرابار ، فينحيه بغلظة ، ينتزع چيروم من الأيدى التى تمسك به)** " جان فوتر " اتركه .

كـــــــرابـار : **(ثائرا)** لقد جئت بناء على أمر !

كـــــــارنـو : وأنا ، أعطيه .

كـــــــربـار : إن واجبى أن أفتش .

كـــــــارنـو : إن واجبك أن تحترم المحترمين . دع هذا الرجل !

كـــــــرابـار : أهناك امتيازات بالنسبة لأعداء الجمهورية ؟

كـــــــارنـو : أيها الغبى ! إن الجمهورية تدين لهذا الرأس بأكثر مما تدين لمائة رأس حمار من نوعك . إن اكتشافاته هى التى أمدت جيوش الثورة بالأجهزة المدمرة التى جعلتها تنتصر فى معركة واتينى .

كـــــــرابـار : إن الانتـصـار ليس شـهـادة فى الوطنيـة . إننى لا أطمـئن إلى النسور .

كـــــــارنـو : هل ترى أنهم يحلقون أعلى من اللازم ؟

كـــــــرابـار : إنهم يتجاوزون الحدود . فلننزع أجنحتهم ! كلهم سواء !

كـــــــارنـو : كلهم ضـفادع ! **(رجال كرابار يضحكون)** يا كرابار ، وإلى أن ينزل العالم إلى مستواك ، فإن الجمهورية فى حاجة إلى قادة . وأنا واحد منهم ، اترك هذا المكان .

كـــــــرابـار : سأرحل ، إذا تراءى لى ذلك . إنك لست السيد ، هنا . إننى ممثل لجنة الأمن ، ولا أسمح أبدا بالسخرية ...

كـــــــارنـو : إن لجنة الأمن ليس من عادتها أن تمزح . الويل لمن يقاوم أوامرها !

كـــــــرابـار : حـسن . سـأرحل ، لأننى أريـد ذلك . ولكن لجنة الأمن ستعلم . وإذا كانت رأسى أنا فى يديك ، فإننى أقبض على رأس الآخر .

(يلوح بالأوراق التى أخـذها من چيـروم ، ويخـرج مع رجاله وتلحق بهم بودان)

(چيروم وكارنو يبقيان وحدهما)

المشهد التاسع

كـــــــارنـو : ماذا أخذ ؟

چيــــــروم : قرار الاتهام .

كـــــــارنـو : بوصفك متهَما أو متهِما ؟

چيــــــروم : الاثنان ، أتهم فى هذه الأوراق مـفـاسـد الدسـتـور ، والطغاة الذين يستغلونه .

كـــــــارنـو : إنك ترجم السماء . الحجر يسقط فوق رأسك .

چيــــــروم : أنا أعلم ذلك . إن الحقيقة قاتلة .

كـــــــارنـو : كورفوازييه ، إن الوقت يمضى بسرعة . كنت أعلم ذلك ، وأنا فى طريقى إلى هنا . لكن الأمور تمضى أسرع مما قدرت لها . فلم أكن أتصور أننى سأجد هنا الوشاة والجواسيس .

چيــــــروم : إذن ، أليست لجنة الخلاص العامة هى التى أرسلتهم ؟

كـــــــارنـو : إن لجنة الخلاص العامة ليست فى حاجة إلى جواسيس . يكفيها أصدقاؤك . .

چيــــــروم : هل تكلم دينى بايو ؟

كـــــــارنـو : نعم .

چيـــــروم : ليس لدى إذن ما أخبرك به .

كـــــارنو : إنك تخفى هنا أحد كلاب الجيروند .

چيـــــروم : تنتظر منى أن أسلمه ؟

كـــــارنو : كلا . بل ألق به فى الخارج ! وليلق حتفه فى مكان آخر ! إننى لم أحضر لأحدثك عنه . فحيثما كان هذا الشقى ، وحيثما ذهب ، فإن حياته لا قيمة لها فى هذه الساعة . لقد جئت لأحدثك عن نفسك .

جـــيـــروم : ماذا تريد ؟

كـــــارنو : كورفوازييه ، أنت تعلم أنك جعلت نفسك موضع شبهة ولم يبدأ ذلك اليوم فقط . فإن موقفك المثير للشك قبل عدة شهور ، واستنكارك الصامت لتصرفات اللجنة ، وامتناعك عن التصويت ، جعل منك عدوا . لم يجدوا مشقة فى استشفاف مشاعرك الخفية . إن ما استطاع أن ينقذك إنما هى الخدمات التى أسديتها للوطن وتدخل " بريور " و " جان بون " وأنا ، نحن الراغبين فى إنقاذ رأسك من أجل الدفاع الوطنى . ولكن اليوم ، قد فاض الكيل. إن ما أثارته أقوالك الطائشة فى جلسة المجلس ، وخروجك المتعجل قد فجر غيظ اللجنة . فلقد وقع هناك منذ قليل مشهد عنيف . والموقف أصبح فوق طاقتنا . إن الأغلبية تريد التخلص من المقاومة التى تلزم الصمت ، وهى أكثر خطرا من التى تتكلم . وهم يخيرونك : فإما أن تؤيد صراحة القرارات الجديدة ضد المحكوم عليهم ،

وإما أن تلحق بهم . ولقد جئت لكى أبلغك بأن تذهب هذا المساء ، إلى المجلس وتصعد المنصة وتعلن تأييدك للقرارات . هذا هو الشرط الذى وضعوه لنجاتك .

چيـــــروم : (بهدوء) وأنا أرفضه : أنا أعلم أنى أثير الشك منذ عام مضى . واليوم أيضا، أبديت اضطرابا لم يكن جديرا بى . ولكن منذ ذلك الحين فإن ظروفا معينة ، لا فائدة من ذكرها ، أعادت إلى وضوح الرؤية واطمئنان النفس . وسأكون سعيدا فى النهاية أن أمارس مسئولياتى .

كـــــارنو : وما هى ؟

چيـــــروم : سأندد بالأحكام الجائرة وبدكتاتورية الدماء .

كـــــارنو : لن تفعل ذلك أبدا . إنك لا تملك الحق فى ذلك ، ولا القدرة أيضا .

چيـــــروم : إننى أملك حق ضميرى ، والقدرة على أن أضحى بنفسى من أجله .

كـــــارنو : أيها المجنون ، إنك لا تدرك إطلاقا أننا لا نستطيع فى هذه الساعة أن نهاجم اللجنة ، دون أن نهدم ما أنجزناه وهو الجمهورية .

چيـــــروم : إن إنجازاتنا كانت إقامة حقوق الإنسان الحر .

كـــــارنو : لكى يكون الإنسان حرا ، يجب أولا أن نحميه من أولئك الذين يستعبدونه .

إن حقوق الفرد لا تُعدُّ شيئا دون قوة الدولة .

چيـــــروم : إنها لا تعد شيئا إذا ضحينا بها فى سبيل قوة الدولة .

كـــــــارنو : إنها ليست شيئا الآن . ولكنها ستكون . فلنتعلم كيف نضحى بالحاضر فى سبيل المستقبل .

چيــــــروم : إننا إذْ نضحى فى سبيل المستقبل بالحقيقة ، والحب ، وكل فضائل الإنسان ، واحترام الذات ، فإننا نضحى بالمستقبل . إن العدالة لا تنبت فى تربة الرذيلة .

كـــــــارنو : لنتكلم بصراحة ، يا كورفوازييه ! نحن رجال علم . وكلانا يعلم قسوة قوانين الطبيعة . فهى لا تهتم بالعاطفة على الإطلاق . وفضائل الإنسان تركلها بقدميها ، لكى تحقق غاياتها . إن الفضيلة هى الغاية ، وأنا أريد الغاية . أيا كان الثمن الذى أدفعه فى سبيلها . وهذا الثمن لست أنا الذى وضعته . ولكننى أقبله . إننى أتقزز ، مثلك ، وربما أكثر منك ، من هؤلاء الرجال ، أهل الدهاء والدماء . وأكثر منك ، يتحتم علىَّ أن أعيش معهم جنبا إلى جنب . إننى أتقزز من ألوان العنف التى يطلبون منى أن أوقع عليها كل يوم . لكننى لا أظننى قادرا على رفضها والهرب من المعركة ، لأنها تلوث يدى . فإننى أضع فى الحسبان هدف المعركة التى نخوضها . إن تقدم الإنسانية يستحق منا بعض القذارات – وإذا لزم الأمر ، بعض الجرائم .

چيــــــروم : إننى أفهمك يا كارنو . فأنا لا أهاجم فيك خلوك من الشفقة . لأن العلم ، كما قلت أنت ، لا يهتم بالشفقة . وأنا مثلك ، لا أثق بالعاطفية . ولكننى لا أثق أيضا

بالأيدولوجيات . ولما كنت أكبر منك سنا ، فإننى لم أعد أؤمن مثلك بالتقدم البشرى . إننى رجل علم إلى درجة لا أستطيع معها أن أؤمن دون تحفظات بإحدى نظرياتنا **(لأن الأمر لا يعدو أكثر من ذلك)** ومهما بلغ إطراؤها لعبقرية الإنسان وأمله الحار ، فإننى لن أجعل منها فى حياتى إله فوق هيكل ، يتغذى على رائحة دماء القرابين . فما من شىء مقدس فى نظرى سوى الحياة ، الحياة الحاضرة .

كـــــارنو : وتسلمهم حياتك ؟

جـــيـــروم : إننى أرفض ، فى سبيلها ، تسليم حياة الآخرين .

كـــــارنو : إن حياتهم ، على أية حال ، ضائعة .

چيـــروم : أما حياتى فليست كذلك على الإطلاق ، إذا كانت تضع فى مواجهة عصر دنىء حافل بالجبناء والطغاة ، روحا طاهرة حرة .

كـــــارنو : إننى لا أكترث لروحك ! لكننى أتمسك بحياتك . إننى فى حاجة إلى عقلك .

كورفوازييه ، إننا فى حاجة إلى نشاطك ، إلى عبقريتك . إن الدولة تطالب بهما . وأنت مجند . وليس من حقك الهروب . إنك تسلب الأمة ثمارا هى من حقها .

چيـــروم : إننى آسف لقطع سلسلة الأعمال التى بدأتها . إن حب الحقيقة هو الوحيد الذى لا يخدع . إن البحث الصبور المخلص فى سبيلها هو العرض الوحيد الذى يمكن أن

يدوم . ولكننا تعلمنا ، في هذه السنين الأخيرة ، أن علينا دائما أن نكون على استعداد ، بين يوم وليلة ، لأن نزهد في كل ما نملك : الثروة ، والشرف ، والسعادة ، والحب ، والعمل ، والحياة . وأنا على استعداد .

كارنو : أيها الأناني ! إنك لا تفكر إلا في نفسك ، وأنت تهب نفسك ! ... أنا أيضا مستعد بالنسبة لنفسي . ولكنني لست كذلك بالنسبة لك . إنني لن أذعن لذلك .

كورفوازييه ! ... باسم الاحترام القديم والمشاركة في العمل الذين يربطان بيننا ! ... اقبل شروط الخلاص والنجاة التي أحملها إليك .

چيروم : لا أستطيع .

(يبتعد)

كارنو : **(يهز كتفيه)** كلام نظريات ! ... غباء وعناد !

(ينتظر لحظة ، ثم يتقدم بضع خطوات نحو چيروم ، ويقدم إليه أوراقا)

خذ ! أمسك !

چيروم : **(يتناول الأوراق)** ما هذا ؟

كارنو : كنت متأكداً من ذلك مقدما ! إنني أعرف عناد علماء الرياضة ... هيا ، ضعها في جيبك ! ... جوازان للسفر ! باسمين مستعارين ، لك ولزوجك . ولكن ليس هناك يوم واحد يمكن تضييعه ! غادر باريس هذا المساء ! في

الحال ، إذا أمكن . إن مكانيكما محجوزان فى العربة العامة ، من باريس إلى ديجون، ومن هناك إلى سان كلود . وداعا . لا يجب أن يراكما أى إنسان بعد الآن ! .

چيـروم : **(متأثرا)** كارنو ! ... **(يشد على يده)** ... ولكن فيم يفيد الهروب ؟ سيقبض علينا فى الحال ... هل نفلت من مخبرى اللجنة وحقد روبسبيير ؟

كـارنـو : إنه على علم بالموضوع .

چيـروم : من ؟ هو ؟

كـارنـو : المنزه عن الهوى والفساد . أجل . إن المبادرة جاءت من جانبى . ولكن على الرغم من أنه تظاهر بجهله التام ، فإننى جئت بموافقته الصامتة . إن موتك يحزننا يا كورفوازييه . إن الجمهورية لا تحب أن تحمل جثتك فوق ذراعيها . إنها بالغة الثقل . اخدمنا واحملها عنا ! إن اللجنة تغمض عينيها . ولكن لا ترغمنا على إعادة فتحهما ! لا تعرض نفسك للخطر ! فلن يغفروا لك ذلك أبدا .

(يخرج)

المشهد العاشر

(چيروم دى كورفوازييه يجلس إلى مكتبه مفكرا . باب حجرة صوفى يفتح بحيطة . صوفى تظهر . تنظر إلى الحجرة الخالية وزوجها الذى يوليها ظهره)

صـــــوفـى : **(بصوت خفيض)** انصرفوا ؟

چيـــــروم : **(دون أن يلتفت)** نعم .

صـــــوفـى : وماذا قال لك كارنو ؟

چيـــــروم : لا شىء . **(يلتفت)** لا نضيع دقائقنا فى كلام لا يفيد ! فهى محسوبة علينا .

لننظر ماذا يجب أن نقول . اقتربى يا صوفى . إن ما سنتحدث فيه الآن لا يجب أن يسمعه رجل الجانب الآخر . **(يشير إلى الباب الذى خرج منه فالليه)** هذا الرجل أنت تحبينه ... لا تردِّى ! إننى أعرف . إن صراحتك أكبر من قدرتك على إخفاء ذلك . **(بعد برهة)** مع أنها كانت ضئيلة جدا لأنك لم تعترفى لى بهذا الحب **(تأتى من جديد حركة ، يوقفها)** ولكننى لا ألومك على شىء . فإذا كنت لم تستطيعى ذلك فإن أية امرأة ، مكانك ،

ما كانت لتستطيع . لأننى أعرف إخلاصك وضعف القلب . إننى أرثى لك .

(صوفى واقفة أمام چيروم الجالس ، ويداها ملتصقتان بجسمها تطأطئ رأسها عند سماع هذه الكلمات الأخيرة ، كالمحطمة)

چيروم : **(يتأملها بابتسامة حزينة)** كم تحبينه !

صوفى : **(مطأطئة الرأس)** إننى أحبُّه .

(صمت قصير)

اغفر لى !

چيروم : أنت حرة .

صوفى : **(ترفع رأسها ، تمد يديها إلى چيروم)** چيروم ! أخبرنى ... ما العمل ؟

چيروم : ليس لى أن أجيبك . كل فرد يقضى فى أمر نفسه . كل يجيب لنفسه .

صوفى : ولكنك سوف تحتقرنى !

چيروم : كلا . إننى لا أشعر بحقد ولا باحتقار لأى شىء . الخطأ ليس خطأ أحد .

الخطأ هو خطأ الحياة .

صوفى : **(ويداها ممدودتان نحوه)** ولكن أنت ، أنت سوف تتألم .

چيروم : كلا . فى مثل سنى ، فى هذا الوقت ، لن يكون لدى الوقت ، لن يكون لدى الوقت . لا تفكرى إلا فى أمر نفسك ! اهنئى ، إن استطعت ذلك .

صـــــوفـي : (**بيأس**) چيروم !

(واقفة ، مستنده إلى حاجز المدفئة ، تنتحب ، ووجهها بين يديها . چيروم متأثرًا ، ينهض ، يذهب إليها ، ينحنى بطريقة أبوية)

صـــــوفـي : (**رافعة وجهها المغطى بالدموع**) وا أسفاه ! لقد أحب كل منا الآخر . فلماذا يمضي الحب ؟ لماذا يتغير الحب ؟ ... آسفة ! إننى أجرحك مرة أخرى ... أى صديقى ، إننى لم أكف عن الاحتفاظ لك بأصدق الود . وبدلاً من أن أسبب لك اليوم شقاء ، كان أحرى بى أن أتحمل وألزم الصمت حتى الموت ... ولكن العاطفة ، كالريح العاصفة ، أقبلت وفتحت الأبواب . استولت على ، وساقتنى . ماذا أصنع ؟ قل لى ماذا بوسعى أن أصنع ؟ هل بوسعى مقاومتها؟ هل نستطيع ذلك ؟ هل نستطيع ذلك ؟ هل هذا جميل ؟ هل هذا فى مقدورنا نحن البشر ؟

(چيروم ينظر إليها برثاء . يبتسم لها ، فى شفقة . ثم ، يتناول من فوق المكتب جوازى السفر ، اللذين تركهما كارنو ، ويقدمهما إليها)

(صوفى تأخذهما بطريقة آلية ، وتنظر إليهما ، دون أن تفهم)

چـيــــروم : سترحلان ، أنتما الاثنان ، هذا المساء . هذه الأوراق تفتح لكما أبواب باريس وطرق فرنسا حتى الحدود السويسرية. لقد عمل حساب كل شيء . التأشيرات سليمة ، والأماكن محجوزة . سيكون من السهل عليكما

أن تجعلا ملابسكما وملامحكما مطابقة للمواصفات المدونة . اذهبى وأخبرى فالليه ، استعدا بسرعة ! لا ينبغى أن يأتى هذا المساء وهو مازال هنا. اذهبى ! أنقذى حياته، وأنقذى سعادتك !

صـــــــوفـى : **(وهى فريسة لاضطراب بالغ)** صديقى ! ... هل تريد ذلك ؟ هل تريد ذلك؟

... كلا ! هذا مستحيل .

چيـــــــروم : **(هادئا)** يجب إنقاذ فالليه . ألا تريدين ذلك ؟

صـــــــوفـى : **(متأثرة)** بلى أريد ذلك .

چيـــــــروم : اذهبى إذن بصحبته ! فإنه لن يرحل بمفرده . ولا ينبغى لك ذلك . إننى أعهد بكل منكما إلى الآخر . لا تتأخرا ! ارحلا !

صـــــــوفـى : **(تنحنى أمام چيروم دى كورفوازييه ، تأخذ يده وتقبلها . چيروم يريد تخليص يده . صوفى تنتصب ، ولكن دون أن تترك يد زوجها ، يلبثان واقفين ، كل فى مواجهة الآخر ، وكل منهما ينظر إلى الآخر)**

أنت إنسان طيب ! ... ولا أستطيع أن أقبل ذلك .

چيـــــــروم : تستطيعين ذلك صراحة ، كل شىء بيننا صريح .

صـــــــوفـى : لا أستطيع أن أتركك .

چيـــــــروم : لقد تركنى قلبك . صوفى ، لا نحاول أن نخادع أنفسنا ! إن قلبك مع الآخر .

صـــــــوفـى : ما أشد ألمى إذ أتصور أن هذا القلب ، كنت قد وهبته لك ، وأننى أستعيده منك اليوم ! ... إنى لا أريد ! ... يا لألمى !

إن قلبى ليس ملكا لى ! ... كل شىء يفر منى ، حتى نفسى ! ... إننى أشعر بوطأة مرور الزمن . بالأمس كنت لك ، كنت قد وعدتك بأن أحمل أتراحك وأفراحك حتى النهاية . ثم أتخلى عنك ، وسط الطريق ، لكى آخذ على كاهلى عبء حب يبدأ من جديد؟ ... آه ! ما دام يبدأ ، فسينتهى أيضا ! ... هل سيتوافر لى من الإيمان ما يكفى لكى أقيم حياة جديدة ؟ أين أجد ثقتى فى نفسى وفى الحياة ؟ ما أشد ألمى !...

چيـــــروم : إن الحياة ، التى تموت كل مساء وتبعث كل صباح ، سرعان ما ستقدم لك النسيان والأمل . لا تفكرى بعد ذلك ! إن الوقت يمضى حثيثا .

(يدفع صوفى برقة ناحية باب الحجرة التى أغلقت على فالليه . يضع لها جوازى السفر فى يدها)

صـــــوفى : **(التى أخذت الجوازين وتنظر إليهما آليا . وراحت فى تفكير عميق)**

ولكن هذين الجوازين ، كيف حصلت عليهما ؟

چيـــــروم : ما أهمية ذلك ؟

صـــــوفى : من أين حصلت عليهما ؟

چيـــــروم : كارنو أعطاهما لى .

صـــــوفى لماذا ؟ ... لماذا أعطاهما لك ؟ إنهما من أجلك ، أنت وأنا . لنا نحن الاثنين. كان علينا إذن أن نرحل ؟ ... هناك خطر يتهددك ! ... أنت فى خطر ! ...

چيـــــــروم : (**محاولا تغيير مجرى تفكيرها**) كلا ، كلا ... لا خطر على الإطلاق .

صـــــــوفى : إذا لم يكن هناك خطر فلماذا جاء يحمل إليك وسائل هروبنا ؟

چيـــــــروم : هيا ؟ لا تكونى مجنونة ! لا تختلقى هموما لا وجود لها ! كفانا همومنا الحقيقية . لا تفكرى إلا فى إنقاذ من تحبين !

صـــــــوفى : من أحب ؟ ... كورفوازييه ، إننى أحمل اسمك ، إننى لازلت زوجتك . وإلى أن يفصم الرباط الذى يربطنا ، فإننى أطالب بحقى ، حقى كزوجة ، والقانون الذى احترمناه فيما بيننا دائما كالحقيقة المطلقة ... أنت مدين لى به . تكلم ولا تخف شيئا .

چيـــــــروم : (**بعد صمت قصير**) لقد أبلغ عنا . لقد سلمنا بايو . إنهم يعلمون من نخفى عندنا . وسيأتون فى الليل للقبض على فاليه .

صـــــــوفى : وعليك .

چيـــــــروم : إن صداقة كارنو ستكون كفيلة بحمايتى . كفى كلاما ! استعدى للرحيل !

ارتدى ملابس ثقيلة . اجمعى الحاجيات التى لا يمكن الاستغناء عنها . إننى ذاهب لآتى بفاليه .

(**يهم بفتح الباب ، عندما يظهر فاليه ، زائغا ، وملابسه فى فوضى**)

المشهد الحادى عشر

فـــاليـــه : **(يلقى نظرة حوله)** انصرفوا ؟

چيـــــروم : نعم . لكنهم سيعودون .

فـــاليـــه : **(قلقا)** متى ؟

چيـــــروم : لست أدرى .

فـــاليـــه : **(يجوب الحجرة ، بخطى واسعة قلقة ، ينظر من النافذة ، ينصت للباب ، دون أن يكف عن السير)** أين الفرار ؟ أين الملجأ ؟

چيـــــروم : أريد أن أتحدث إليك .

فـــاليـــه : **(الأداء نفسه دون أن ينصت)** لن أعود أبدا إلى المخبأ الصغير الذى حبستنى فيه. إننى لا أستطيع أن أبقى هكذا ممنوعا من الحركة ! كنت هناك ، متمددا، محشورا وكأننى فى نعشى . وكنت أسمعهم وهم يسيرون داخل الحجرة .

ولقد احتكوا بالجدار الذى كنت مختبئا فيه ، وأنا أكاد أختنق دون أن أستطيع إتيان حركة أدافع بها عن نفسى ... لا أستطيع أن أتحمل ذلك ! ... لن أعود أبدا .

چيـــــــروم : (**جلس ، هادئا**) لن تعود . اسمع ما سأقوله لك .

فـــاالليـــه : تقول إنهم سيعودون ؟

چيـــــــروم : (**هادئا**) لدينا وقت لكى نتحدث .

(يشـير إليـه بالجلوس . فـالليـه يجلس ، ولكنه ، وهو يتابع كلام كورفوازييه يرصد فى قلق الضوضاء التى فى الخارج)

چيـــــــروم : (**هادئا**) لقد أقنعت زوجتى بالابتعاد عن باريس ، لفترة من الوقت . إن صحتها ، منذ الشتاء ، متوعكة . ستذهب لقضاء شهرين ببلدتها " سون " ، جهة من أعمال " كلونى " . كان ينبغى أن أصحبها . لكن الشئون العامة لا تسمح لى بذلك ...

صبـــــوفـى : (**هادئة**) إنهم يصعدون إلى الطابق الذى فوقنا .

(فالليه يعود إلى الجلوس)

(فالليه نهض من فوق كرسيه ، عندما سمع خطوات تصعد السلم)

چيـــــــروم : (**يواصل وكأنه لم يقاطع**) ... إننى لا أستطيع مصاحبتها . هاهو ذا جواز سفرى . ستذهب أنت بدلا عنى .

(**مذهولا**) أنا !

فـــاالليـــه : (**الأداء نفسه**) وهكذا ، وأنت تقوم برعايتها ، ستمر من

چيـــــــروم : خلال الشبكة التى نُصبت لصيدك . وما إن تصلا عند أهلها بوصفكما اثنين من سكان "كلونى" ، حتى تصبح قريبا من الحدود . والباقى يخصك .

(فاليه نهض ، يأخذ جواز السفر الذى يقدمه إليه كورفوازييه ، يطويه ويفضه ، وهو من الانفعال بحيث لا يستطيع الكلام)

(وفى خلال ما فات صوفى تنصت ، تفكر ، تنظر إلى الرجلين ، ثم ، بلا ضوضاء ، تمزق جواز سفرها وتلقى به فى نار المدفأة . تنهض وتذهب ناحية فاليه)

صـــــوفـى : **(مخاطبة چيروم ، الذى يشير إليها بالسكوت)** كلا ، يا صديقى ، دعنى أتكلم، لا يجب أن تخفى شيئا .
(مخاطبة فاليه ، برقة حازمة) كلود ، إن زوجى يعلم بشعورنا . فلقد اعترفت له . وهو من الشهامة والنبل بحيث ترك لى حرية الذهاب معك .
ولقد اتخذت قرارى . إننى وقد أصبحت حرة ، سأظل بجانب زوجى . لقد وهبته نفسى ، بملء حريتى ، إلى الأبد . وهو لم يفقد أبدا من قيمته فى نظرى . وإننى لا أستطيع أن أسترد نفسى منه دون أن أفقد من قيمتى .
إن النفس الكريمة لا تتنكر لذاتها أبدا . لقد أردت أن أقاسمه محنة حياته . وما أردته لازلت أريده **(تذهب إلى زوجها وتقدم له يدها)**

چيــــروم : **(متأثرا)** لم يعد من حقى أن أستبقيك . فقد أجرُك معى فى الضياع الذى يتهددنى .

صـــــوفـى : **(بسرعة وبصوت خفيض)** اسكت ! لا يجب أن يعرف !

فــالـيــه : **(بمرارة)** آه ! إنك لم تحبينى أبدا !

صـــــوفى : إننى أحبك ، يا فاالليه . وسأظل أحبك . ولكننا إذا لم نكن قادرين على ألا نتألم من الحب ، فإننا قادرون على ألا نكون لعبة للحب .

فـــالليـــه : (**بمرارة**) إنك لم تحبى فى حياتك أحدا ! إنك لا تحبين سوى كبريائك .

صـــــوفى : (**برقة**) صديقى ، لو لم يكن بى هذا الكبرياء ، كما تقول ، ذلك الكبرياء التعيس المجروح ، فهل كنت ستحبنى إلى هذه الدرجة ؟ هل كنت ستحبنى طويلا ، لو كنت ضعيفة ، ضائعة ، نهبا للعاطفة التى تزول وتنقضى ، جاحدة لعهدى ؟ وهل كنا سننعم بالسعادة ؟ كنا سنعيش فى فزع السعادة التى تنتهى ، والحب الذى يذوى وحينما نسأم ونمل ، نعود وحيدين ذابلين .

فـــالليـــه : (**عنيفا**) لا يهم ! فسأكون قد حصلت عليك !

صـــــوفى : (**بابتسامة حزينة**) وستكون قد حطمتنى... هيا ، يجب إنقاذك ، يا عصفورى المسكين الذى وقع فريسة ! بالنسبة لبعضهم ، فأنت فى هذه الساعة فريسة .

كفى كلاما ! ولنفكر فى سبل الهرب !

فـــالليـــه : إننى لا أريد أن أرحل ! لا أرحل دونك !

صـــــوفى : لقد أحرقت جواز سفرى . ولم أعد أستطيع الرحيل .

فـــالليـــه : على الأقل ، ليس هذه الليلة ! أريد أن أقضى هذه الليلة تحت سقف دارك .

چيـــــروم : إنهم يعلمـون أننى آويك عندى . قـبل منتـصف الليل سيقبض عليك .

فــالليـــه : كلا ! إنك تخدعنى ! إنك تكذب !

چيـــــروم : ستتأكد من ذلك . إن من الممكن أن يصلوا بين دقيقة وأخرى .

فــالليـــه : هذا خطأ ! (**ينصت**) إننى أسمعهم ! ... كلا ... لن أرحل أبدا ، سأبقى .

چيـــــروم : (**هادئا**) ابق إذن ! هل أنت مستعد لأن تموت ؟

فــالليـــه : (**وقد هزته رعدة**) أمـوت ! ... كلا ! كلا ! لا أريد ! ... أموت ! ... ياللفظاعة !

چيـــــروم : (**هادئا**) يُقبض عليك بعد ساعة ، ويحكم عليك صباح الغد ، وفى المساء تعدم بالمقصلة ...

فــالليـــه : (خارجا عن طوره) مساء غد ، فى تلك الساعة ، أصبح كومة من اللحم ، تلقى فى العربة ويقذف بها فى جب الموتى ... أنا ! ... أبدا ! ... لا أريد !

... أنقذونى ! ...

(يبدو كالتائه ويرتمى عند قوائم كرسى خال ، وتظل يداه متعلقتين بمسند الكرسى)

جـــيــروم : تهيأ إذن للرحيل .

(نهض ، وكذلك زوجته ، يجمع بعض الأشياء ، ملابس وغذاء ، التى ستكون بالنسبة لفالليه متاع سفر . فالليه ينهض ببطء ، يتنفس بشدة مطأطئ الرأس ،لا يجرؤ

على النظر إلى صديقيه الذين يروحان ويجيئان داخل الحجرة ، يوليهما ظهره وهو واقف معتمد على مسند الكرسى ووجهه ناحية الصالة)

فـــاالليـــه : إننى أشعر بالخجل ...

صـــــوفـى : (**تذهب إليه وتلقى بمعطف فوق كتفه**) سننقذك أيها الصديق !

فـــاالليـــه : إننى أشعر بالخجل ...

صـــــوفـى : (**تلبسه وكأنها أمه**) كلا . لا تخجل أبدا ! إننى أحب أن تكون لديك الرغبة فى الحياة . إننى سعيدة إذ أرى أن الحياة لازالت غالية عندك .

فـــاالليـــه : إننى أبغضها ، وأريدها . إننى لا أستطيع ، لا أستطيع أن أذعن لفقدها ... أوه أيتها الآلهة ! ماذا حدث ؟ إن المهانة تحطمنى ... صوفى ، إننى لكى ألحق بك ، تحديت ألف موت ، إننى لم أرتعد بتاتا إلا خشية ألا أراك مرة أخرى .
والآن ، والآن ! ... لم أعد أستطيع أن أتحمل فكرة الموت... كلا ، لاتنظرى إلى بعينين تملؤهما الشفقة ! أى نفور أوحى إليك به !

صـــــوفـى : (**بصوت خفيض**) أيها الصديق ، إننى لم أحبك قط كما أحبك الآن !

فـــاالليـــه : آه ! إن رؤيتى لك هى التى سلبتنى حميتى لأننى أدركت من جديد قيمة الحياة التى كنت قد زهدت فيها ، لم أعد أريد أن أتخلى عنها .

(وهو منهار)

إننى جبان ، إننى خائف .

چيـــــزوم : **(يقبل نحوه بحنان)** لا تعذب نفسك ! لا تتهم ضعفك ! إننا نعلم يا صديقى ، أنه ما من إنسان أعظم منك شهامة . ولكن هذا الرجل الشهم هو إنسان . لقد استهلكت قواك حتى المستحيل . فقد واصلت خمسة أشهر كاملة ، كفاحا يفوق طاقة البشر . وحط عليك الإرهاق على حين فجأة ، مثل الحجر . فلمست الأرض . ولكن وأنت تناضل . انسحب من الميدان . فأنت تستطيع ذلك ، مرفوع الهامة. يجب أن تفعل ذلك . غادر باريس ! اخرج من فرنسا ! اهرب من أعدائك ! اذهب واستعد قواك لمعارك جديدة .

فـــاليـــه : **(مستعيدا قوته شيئا فشيئا بفعل هذا الكلام ، ينهض ويتهيأ للرحيل)**

ولكنكما ستلحقان بى ؟

چيـــــروم : إننى لست مخلداً .

فـــاليـــه : ولكن أنت يا صوفى ... ما قولك ؟ ربما ذات يوم ؟ ...

(يتوقف فجأة وهو يلقى بنظرة خاطفة على كورفوازييه ، ينحنى كى يقبل طويلا يدى صوفى ، يتوجه ناحية الباب ، فى لحظة الخروج ، يلتفت ، يرى كورفوازييه الذى يمد له يده ، يتردد لحظة ، يأخذ يده ، يلقى نظرة أخيرة على صوفى)

وداعا !

(يخرج)

المشهد الثانى عشر

(چيروم دى كورفوازييه وصوفى يمكثان وحدهما . وقد حل الليل تماما .
چيروم لا يزال ينظر إلى الباب الذى خرج منه فالييه .
صوفى ، وهى تقترب من النافذة ، تنظر من خلال الستائر)

چيروم : **(بطيبة)** أعتقد أن الولد الطيب قد قدَّر قصر أيامى .
(يتوجه ناحية المدفأة ويشعل لهبا)

صوفى : **(تترك مكانها الذى تراقب منه ، تقبل نحو المدفأة ، بسخرية يشوبها ود وكآبة)**
لكنه لم يدرك قدْر أيامى .
(تلتفت إلى زوجها وتمد له يديها . يتناولها وينظر إليها بحنان)

چيروم : ألست نادمة على شىء ؟

صوفى : هل أمر القبض أكيد ؟

چيروم : ليست هناك أية فرصة للهرب .

صوفى : إذن كل شىء على ما يرام .

(تخلص يديها ، يجلسان ، حول النار التى تخمد !)

جـيـروم : سهرتنا الأخيرة .

صـوفـى : إننى أشعر بارتياح . لم أعد مشغولة باتخاذ أى قرار ، لم يعد على أن أخوض أية معارك . لم أعد أرغب فى شىء ، لم يعد هناك إلا أن أستسلم للأشياء التى تريد بدلا عنا ، لجدول الليل .

(چيروم يقترب منها ويتأملها بود صادق . تضع رأسها فوق كتف زوجها . وهى جالسة بالقرب منه ، سيقانهما تتلامس وأيديهما ثابتة فوق سيقانهما : يحلمان ويبتسمان ، وهما ينظران إلى النار . كل الحوار الآتى تقريبا يقال بصوت خفيض)

صـوفـى : **(بحنان وهدوء)** زوجى الطيب العزيز ، يا من كنت تضحى بنفسك فى سبيلى ، بكل هذه البساطة !

چيـروم : ليس من التضحية فى شىء أن نريد سعادة من نحب .

صـوفـى : إننى سعيدة الآن .

چيـروم : تريدين أن تواسينى .

صـوفـى : **(هادئة ، بطيئة ولكن عند الكلام الأخير تنتابها رعدة خفيفة)**

كلا ، يا صديقى ، إننى أقول الحقيقة . لقد تركت أشجانى على الشاطئ الآخر الذى تركناه . آه ! آه ما أعظم ارتياحى إذ أراها تبتعد ، ورأسى فوق كتفك ! ابق ! لا تتحرك ! وهذا الجحيم البشرى ، ونزواته ومخاوفه ! .

چيـــــروم : لم يسأم منها بعد صديقنا فاليه .

صـــــوفى : **(الأداء نفسه ، وابتسامة خفيفة على شفتيها)** الشاب المسكين ! ... نعم ، كم كان متلهفا للخوض فيها من جديد ! ... هل تظن أنه سينجح فى الهرب ؟

چيـــــروم : أتعشم ذلك .

صـــــوفى : ياللسعادة ! ... لكننى أخشى عليه من الحزن حينما يعلم بمصيرنا .

چيـــــروم : ستكون الحياة هى الأقوى .

صـــــوفى : نعم ! أظن ذلك ... مسكين يا فاليه !

چيـــــروم : هل تذكرين ، يا صوفى ، أمسياتنا الطويلة ، هنا فى هذه الحجرة ؟ أنا جالس قرب المنضدة ، أقرأ ، وأنت تنظرين إلىّ وأنا أعمل ، وأنا أنظر إليك وأنت تحلمين ، وكلانا كان يحلم : لأن كل شىء ، الأفكار ، الأعمال ، العلم ، الحب ، كلها حلم ، وكلٌ بدوره ، يقدم لصاحبه أحلامه ، وغالبا ، عندما كانت تصادفنى المصاعب ، كنت ألجأ إلى فكرك الصافى ، يا ناصحتى الطيبة ...

صـــــوفى : إننى أذكر كل شىء ، منذ أول مساء دخلت فيه وأنا شابة هذا المنزل القديم .

كنا متزوجين حديثا ومع أنك كنت محاطا بالمجد ، فقد كنت خائفا منى ، لأننى كنت شابة ، ولأنك لم تعد كذلك . حينئذ ، كنا وحدنا ، فاقتربت منى وقلت لى بصوت خفيض : " اغفرى لى أنى أحبك " .

چيـــــروم : هل غفرت لى ؟

صـــــوفـى : لقد سرى خلال قلبى عرفان ، عثرت عليه من جديد ، هذا المساء ، هذا المساء الآخير . اغفر لى ، أنت ، أنى نسيته .

(تقدم جبهتها لچيروم الذى يقبلها)

چيـــــروم : أنا أيضا يا صوفى ، كنت قد نسيت نفسى ، كنت قد نسيت واجبى من الشجاعة والصراحة . فى أية حال من الضعف كنت لا أزال هذا المساء عندما عدت ! إن الشعور بأنى فقدتك هو الذى أعاد إلى قوة قرارى .

صـــــوفـى : كنا قد ضللنا - كلانا - فى متاهة هذا العالم المعذب ... تباركت هذه الساعة الأخيرة التى جعلت كلينا يعثر على صاحبه ، وعلى نفسه !

چيـــــروم : والآن لتسدل الستارة . لقد وصلنا ... اسمعى ! فى الشارع الخالى ، خطوات القادمين ...

صـــــوفـى : **(وقد استيقظ قلقها)** وكل مشروعاتنا الكبرى ، وكل آمالنا الخائبة ، وكل أعمالنا المحطمة ، كل ما يموت معنا ...

چيـــــروم : **(منصتا)** إنهم يصعدون السلم ...

صـــــوفـى : **(بقلق)** لو أننا على الأقل تركنا من بعدنا ، طفلا ! ... لماذا ، لماذا وهبت لنا الحياة ؟

چيـــــروم : **(حازما)** لكى نقهرها .

(صمت . ينهضان . صوفى ، معتمدة على چيروم ، تنظر إليه وتبتسم ، راضية - لا ينفصلان حتى النهاية ،

يقفان متقابلين ، رأس صوفى على كتف چيروم ، ينظر كل منهما إلى الآخر . لا يعيران انتباها حتى للباب الذى يفتح)

(تسمع أصوات مقبلة)

صـــــوفـى : (باكتئاب باسم) نقهرها ... وداعا ، يا صديقى " الغار قطف ... "

(يطرق الباب بعنف)

چيـــــروم : (بحنان بالغ) وهذه الجميلة ستذهب لجمعه ... "

صـــــوفـى : (وهى تشير فوق المنضدة إلى غصن زنبقة متروك منذ مشهد البداية)

كلا ، بل أعطنى هذا العنقود النضير الذى يموت ، هذه الزنبقة .

(كورفوازييه يعطيها الغصن المزدهر . تطبع عليه قبلة)

(الباب يفتح ... تدخل مجموعة من الرجال المسلحين)

النهايـــة